جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن
الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

إعرارو

د/ أيمن عبد العظيم أحمد سيد

مدرس بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة أسيوط - جمهورية مصر
العربية.

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

التقييم الدولي: ISSN 2535-177X

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة

أيمن عبد العظيم أحمد سيد

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: aymanazeem82@gmail.com

الملخص:

يأتي البحث ليميط اللثام عن الأمراض المعنوية التي ذكرت في (القرآن العظيم) والتي تصيب الإنسان فتخرج نفسه أو قلبه عن حد الاعتدال فيضحى غير سويٍّ فيما ينبغي له أن يفعله بنفسه أو بالآخرين من حوله، ويوضح البحث معانيها، وكيف تظغى آثارها على الشخص والمجتمع من خلال ذكر ما تفعله بصاحبها ومجتمعه من آثار سلبية تظهر في البخل أو النفاق أو القسوة أو الرهبة أو السحت، أو غير ذلك مما سيأتي تباعاً في ثنايا البحث، والبحث محاولة لاستجلاء ظواهر المرض فيما نصت عليه الآيات التي جاء فيها.

وإلى ذلك يحاول البحث استجلاء المضمرات القولية التي تتبع خلف كل مرض معنوي وإيضاحها في كل آية تضمنت مرضاً معنوياً في صورة موجزة، واستنتاج الخطاب القرآني لاستنتاج أمور وقضايا أتت في كل مرض معنوي لتكشف حقيقة ما أو أمر ما، ولهذا ف(القرآن الكريم) وضع أسساً وقوانين ليتجنب الإنسان تلك الأمراض المقيتة، وليجنب نفسه والمجتمع شرورها التي تعود بالوبال على صاحبها، سواء كانت متعلقة بالنفس كالسحت أم السحر أم البخل أم السرقة أم الإسراف إلى آخر ما ذكر من أمراض معنوية متعلقة بالنفس، أو متعلقة بالقلب كالرهبة أم الخوف أم النفاق أم الرعب أم غير ذلك مما ذكر من أمراض معنوية تتعلق بالقلب.

والبحث يؤكد ويثبت بقوة أن (القرآن الكريم) وقد أنزل من لدن (عليم خبير)، يجب التمسك بمنهجه، والسير على أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه ما جاء لشقاء البشرية أبداً، والله الموقن.

الكلمات المفتاحية: المضمرة القولية، الخطاب المختزل، المرض المعنوي، النفس، القلب.

**The abbreviated implications of the speech in the (Quran)
discourse on moral diseases: A brief analytical vision**

Ayman Abdel-Azim Ahmed Sayed

**Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Assiut
University, Arab Republic of Egypt**

Email: aymanazeem82@gmail.com

Abstract:

The research comes to reveal the moral diseases mentioned in (the Great Qur'an) that afflict a person, causing his soul or heart to go beyond the limits of moderation in what he should do to himself or to others around him. The research explains their meanings and how their effects overwhelm the person and society by mentioning what they do to their owner and his society of negative effects that appear in stinginess, hypocrisy, cruelty, fear, ill-gotten gains, or other things that will come in succession in the folds of the research. The research is an attempt to clarify the phenomena of the disease in what is stated in the verses in which it appears, To this end, the research attempts to clarify the verbal implications that lie behind every moral illness and to explain them in every verse that includes a moral illness and to interrogate the Qur'anic discourse to deduce matters and issues that came in every moral illness to reveal the truth of something or something. Therefore, the Holy Qur'an laid down foundations and laws for man to avoid those abhorrent diseases, and to spare man and society their evils that bring disaster upon their owner, whether they are related to the soul, such as illicit gain, magic, miserliness, theft, extravagance, and so on, from the diseases mentioned related to the soul, or related to the heart, such as awe, fear, hypocrisy, cruelty, betrayal, or other diseases mentioned related to the heart, The research confirms and strongly proves that the Holy Qur'an, which was revealed by the All-Knowing, All-Aware, must be adhered to, its commands must be followed, and its prohibitions must be avoided, for it never came to cause misery to humanity.

Keywords: Implicit speech, Abbreviated speech, Moral illness, Soul, Heart.

مقدمة.

يأتي المرض ليصيب الإنسان فيقعده عن أداء بعض المهام التي أوكلت إليه، وهذا هو المرض البدني المعروف، ويكون ابتلاءً من (الله) سبحانه، وأحيانًا لا دخل للإنسان في وقوعه عليه، أما المرض الثاني، فهو المعنوي، والذي يكون نابغًا من النفس أو القلب فيقعده صاحبه عن إدراك الفضائل ومعالي الأمور، وهذا المرض ليس ابتلاءً؛ إنما هو صنعة النواقص والأحقاد الداخلية أو البعد عن منهج (الله) سبحانه، إنه البعد عن المنهج القويم، والطريق المستقيم.

والأمراض المعنوية حين يصاب بها الإنسان فإنها لا تأتيه طواعيةً، إنما هو الذي يجلبها لنفسه باختياره، فهو يجعل نفسه عرضة للتخيلات الإبلسية، والتأثيرات الباطنية السلبية، وتأثير الأرواح الخبيثة، والأفعال الشريرة، والغفلة الشديدة، والانصراف عن طريق الحق والصواب، فتتحرف النفس عن الصواب، وتخرج عن حد الاعتدال، وتظهر الآثار المدمرة على الشخص والمجتمع سلبيةً، وتقود كلا الفريقين للهلاك، والوقوع في مشكلات لا حصر لها.

أهمية الموضوع:

وأهمية الموضوع تتبع من الحاجة الملحة إلى تتبع المرض المعنوي بغية معرفة آثاره المدمرة التي لا تقل خطورة عن نظيره الجسدي، والتأكيد على رصد (القرآن الكريم) لذلك؛ وهذا لتوعية المجتمع، والحد من الآثار السلبية لهذه الأمراض، وكيف أنها تدمر صاحبها تمامًا كنظيرتها الجسدية.

أسباب اختيار الموضوع:

جاءت أسباب الاختيار للموضوع ممثلة في الرغبة في الغوص في ثنايا مضمرات النص القرآني لاستخراج صدقاته الرائعة، ولآلئه اللامعة من بحر كلماته الرائقة الصافية، والتأكيد على أن نجات الإنسان مما هو فيه من كرب وضيق، وغير ذلك، إنما تكون بتمسكه بمنهج (الله) القويم، وكتابه العظيم، لذا

يجب الرجوع (للقرآن) والاحتكام لآياته، والدعوة لجعله طريق النجاة الممهد، والقوي، للتخلص مما ينغص الحياة، ويكدر صفوها، ولنشر قيم التأخي والتعاون بين أفراد المجتمعات باختلاف طوائفها، وتنوع مشاربها.

المنهج المتبع في البحث:

اتبع البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، والذي به قراءة الآيات وفهم ما بها تبعاً لتفسيرها، واستنباط ما اكتنزه الآيات بين جوانبها من مضمرات قولية تدعو لقضية ما أو تنشر مبدأ ما أو تؤكد على قيم أو دعوة لفعل أمور، واجتناب أخرى، ولم يتوغل البحث في تفسيرات الآيات، إنما استنبط منها ما بها من مختزل قولي قوي يكمن بداخلها، ولجأ البحث أحياناً للمنهج التحليلي حين تحليل بعض غوامض الآيات لاستجلاء ما وراءها.

الدراسات السابقة:

هناك من الدراسات التي تناولت المرض في صورته العامة في (القرآن الكريم) كدراسة (نصيرة ابن مبارك) بعنوان: المرض في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، وتناولت المرض دراسة تفسيرية، فلم تتعرض لأنواعه المعنوية، وإنما جاء البحث ليدور في المرض، ومرادفاته، وطرق الوقاية منه، أما البحث هذا فيتطرق للأمراض المعنوية، ويبين أثرها من خلال المضمرات للآيات، واستنباط العلاج منها، وهو لا يأتي للتفسيرات كثيراً.

وهناك أيضاً دراسة بعنوان (ثنائية المرض والشفاء في القرآن الكريم) وهي للباحث: محمد عبد النبي علي، وهي دراسة تفسيرية موضوعية، وتعرضت لطرق الشفاء من الأمراض الجسدية والروحية، ولم تتطرق لمضمرات الآيات القولية، وما كمن في سياقات الحديث عن كل مرض معنوي.

وهناك دراسة: خالد بن موسى الزهراني، بعنوان: مرض القلب في القرآن، وجاء المرض القلبي عنده مشخصاً في الزبيغ، والعمى، والقسوة، والختم، وجاء بما يدل على عافيته كالطمأنينة، والوجل، والإنابة، وتعرض للسياقات التي ورد

فيها المرض القلبي بمرادفاته التي سيقف، وتختلف الدراسة الخاصة بالمرض المعنوي في أنها هنا شاملة للقلب والنفس، وكذلك تتعرض لمضمرات الآيات لاستنتاج ما يصاب به القلب من أمراض، واستعراض أثرها السلبي على المجتمع، وكذلك النفس، وما يصيبها، والبحث يختلف قلباً، وقالباً عن الدراسة بهذا الأمر، فهو يعطي الأهمية هنا لمكتنزات الخطاب القرآني الخاص بالمرض المعنوي، وما أضمره.

وهكذا فالبحت هنا يختلف في طرق المعالجة لآيات المرض القلبي، أو ما يصيب النفس من مرض يخرجها عن حد الاعتدال، والبحث يظهر طرق الخروج عن الاعتدال والصحة بالنسبة للنفس، والقلب من خلال استجلاء مضمرات النص القرآني للكشف عن المختزل اللفظي الذي يكمن في المضمرة القولية لما تحتمله الآيات الكريمات، وفي هذا بيان قوي، وكشف جلي لما تميز به أسلوب (القرآن الكريم) من إيجاز معجز، وهذا البحث أيضاً يختلف عن غيره في تركيزه الأساسي على ما يفرزه النص القرآني من دعوة للترغيب في أمر ما أو ترهيب من اقتراح أمر سيء، وهو المرض هنا، وليؤكد البحث بقوة على رحمة (الله) بعباده عبر دعوته لهم في كتابه لما يكشف السوء عنها، وما يجعل حياتهم خالية من الشوائب التي تعكر صفو المجتمع المتماسك، والنفس القوية، والقلب السليم المحب لغيره، وهذا أساس التماسك للمجتمعات، وترسيخ مبادئ الخير، والسعي نحو كل ما يتعلق بهما.

وليكشف البحث عن كل هذه الأمور فقد تعرض للمضمرات القولية التي تكتنفها الآيات الكريمات في نظرة موجزة، ليست موسعة، وتحليل هذه المضمرات، واستنتاج مفادها القيمي أو الدعوي، والأوامر، والنواهي، ولم يأت هذا إلا بعد قراءة التفاسير التي تناولت الآيات التي بها الأمراض المعنوية محل الذكر في البحث، وما أتت الأمراض هنا إلا لتوضح أمرين: خطورة المرض، وماذا يفعل بصاحبه أو مجتمعه، والثانية: كيف يتخلص منها، ويعود لرشده،

ولطريق (الله) سبحانه القويم، لذا كان الأحرى بالبحث أن يأتي في تمهيد، ومبشرين، وتخل كل مبحث عددً من المطالب، كالاتي:

التمهيد: ويأتي في أمرين، كالاتي:

الأمر الأول: المضمرة القولية، والخطاب المختزل: السمات والخصائص.

الأمر الثاني: المرض المعنوي الذي جاء في القرآن: تعريفه وأنواعه.

المبحث الأول: القرآن الكريم، وحديثه عن الأمراض المعنوية التي تصيب النفس.

المبحث الثاني: القرآن الكريم، وحديثه عن الأمراض المعنوية التي تصيب القلب.

التمهيد: الأمر الأول: المضمرة القولية، والخطاب المختزل: السمات والخصائص.

أولاً: المضمرة القولية في الخطاب:

يأتي الإضمار لغويًا من الجذر (ضمر) وأضمرت الشيء: أخفيته، وأضمرته الأرض: غيبته إما بموتٍ وإما بسفرٍ، وأكثر المضمرة في العربية إن شئت جئت به، وإن شئت لم تأت به، وأضمرت حرف إذا كان متحركًا فأسكنته^(١)، وأما اصطلاحًا، فنجد المضمرة هو: الأمور التي يتم التلميح إليها، والأفكار المبيتة المضمنة بين السطور، وتكون ذات أهمية في الأقوال..... وتستحق الأقوال المضمرة، مهما بلغت غرابتها عناء الخوض في غمار تحليلها، والكشف عن جدواها، وأثرها^(٢) فالاهتداء إلى المضمرة ليس متاحًا للجميع بل لذوي الفهم.

(١) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير، وآخرون، مادة (ضمر)، ص ٢٦٠٧.

(٢) انظر: المضمرة، كاترين كيربرات - أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٢٠، و ٢١ بتصرف.

والمضمرات القولية هي ركيذة من ركائز القول في اللغات جميعها؛ فهي تقوم بوظيفة رئيسة في تضمنها المعنى داخلها دون تصريح به، أي أنها تعتمد التلميح طريقها، وكى يفطن القارئ لهذا الأمر لا بد له من البحث في المحتوى النصي الذي أمامه . أيا كان نوعه . وما به من أقوال أو عبارات لها مردود فكري، وثقافي عند القارئ، يستعين به على الفهم للمراد أو اقتناصه، وأحياناً يكون التأويل للنص سبيلاً لفهمه، والوصول لمبتغاه ويكون المضمرة داخل النص متفاوتاً حسب الفهم للمتلقى للنص، ومدى امتلاكه لآليات التأويل . وإدراك القصد في النص أو العبارة إنما يحدث عند التواصل، ومن ثم يحسن السكوت، والصمت؛ إذ إن الإضمار عند البعض هو أن تقصد الدلالة التي يقصد إليها المتكلم قصداً، أو الحاصلة من العدول باللفظ عن ظاهره بدليل يدل على المضمرة، ويرشد إليه^(١)، ونجد أنه في المضمرة عامة لا يصرح بجميع الأجزاء المكونة لبنية الخطاب، وأن ما يستنتج من الخطاب إنما هو انعكاس لبنيته التي تحويه داخله، ولسان حاله ينطق بها، والمتحدث يجد نفسه آنذاك محمولاً، ومرغماً أن يطوي بعض أجزاء القول، وذلك لأهمية الأمر في خلق البحث الواعي من المتلقى لسير مضمرات القول المخبوءة، وما نقص من كلام، وعلّة ذلك، وأكثر؛ فإن ما يعنيه المتكلم يعتمد على ما تعنيه الجملة، ومدى تفهم المتلقى لعباراتها، وما تحمله من دلالات حرفية أو مجازية حاضرة كانت أم مستترة خلف قناعها اللفظي الدال^(٢).

وفي المضمرات من القول فإن الحذف يتعلق بالألفاظ، فيأتي اللفظ متعلقاً

(١) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، الدرا البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م، ص ١٥١، و ١٥٢.

(٢) راجع: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣٠.

بغيره، ويتعلق به، إنه لا يستقل بنفسه عنه، ويكون في اللفظ الموجود دليل قوي على المحذوف فيقتصر عليه بغية الاختصار مع الإيفاء بكامل المعنى^(١)، ولذا فالمتحدث قد يحذف من كلامه ما يريد، فهو في حرية من أمره من أن يطالب بتقدير المحذوف، أما حين يضم شيئاً فهو يقصد هذا الإضمار لأغراض معينة، لا سيما البلاغية، لذلك فهو مطالب بتقدير المحذوف والتدليل عليه حتى لا يحيد المعنى عن نصابه الموضوع له^(٢) فيبتعد عن القصد والمطلوب.

وقد حمل البعض الحذف على الإضمار، وقد أشار لهذا (عبد القاهر الجرجاني) حيث حمل الحذف على الإضمار حين قال: ".... وهذه جملة قد تنكرها حتى تُخبر، وتدفعها حتى تُنظر، وأنا أكتب لك بديئاً أمثلة مما عرض فيه الحذف، ويورد قوله من الشعر^(٣):"

اعتاد قلبي من ليلي عوائدهُ // // // // وهاج أهواءكِ المكنونة الطلُّ

ربع قواءِ أذاع المِعصراتُ به // // // // وكلُّ حيرانٍ سارٍ مائهُ خَضَلُ

ثم نراه يعقب بقوله: قال أراد: ذلك ربع قواء، أو هو ربع، فالمحذوف مقدر بـ: ذاك أو هو....^(٤).

والضمني من الكلام هو ما لا يظهر على سطح الملفوظ، إنما يقبع في آخره ساكنًا حتى إذا ما ثارت الألفاظ ظهر بقوة ليكشف عن مخبئه ويعضد بقوة من بلاغة تلك الألفاظ التي حوته وضمته بقوة، ويكون المضمرة ذا معنى

(١) راجع: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، عبد القادر بن عمر البغدادي، بيروت، دار صادر، مجلد ٢، ص ٢٣٩.

(٢) راجع: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص ١٤٦.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد محمود شاعر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٤٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٦.

تفسيري يحيل إلى معانٍ ضمنية، والمتكلم هنا لا يكتفي وهو ينتج قوله بالمعنى المعجمي التركيبي بل يأخذ من هذين المعنيين وسيلة مساعدة في إيضاح مقاصده، وإيصالها للمخاطب، والأمر نفسه يقال عن المخاطب؛ فهو يقوم بعملية تفسيرية بغية الوصول لغايات المتكلم، فالمعاني الضمنية التي تقبع خلف الملفوظات الصريحة أكثر، وتتفاوت حسب قربها أو بعدها من المعنى الصريح وفطنة المتلقي إليها وسبر أغوارها وفهمها^(١)، فالمخاطب ما يأتي به في خطابه المختزل، والمتضمن لمضمرات قولية يقصده على بنيته التي يورد عليها كلامه، وتنتج عن صياغة قوله هذا مقاصدٌ وأقوالٌ مضمرّة، وهذه أمور يعدها المتلقي شيئاً مفروغاً منه، ويعمل على استنتاجها من ظاهر العبارات المعطاة، ويوظفها في الكشف عن مقاصده وأغراضه.

ثانياً: الخطاب المختزل:

تدور معاني الاختزال حول الانفصال، والاقتراع من الناحية اللغوية، ففي (لسان العرب) أتى الاختزال ليعني: الاقتراع، ويقال اختزلته عن القوم مثل اخترعته، واختزل فلان المال، بالخاء، إذا اقتطعه، وانخزل أي انفرد، وعند (ابن سيده) فالاختزال يعني الحذف، وانخزل: لم يعبأ به، وانخزل في كلامه: انقطع^(٢).

والخطاب المختزل هو خطاب اقتطع من خطاب أكبر، وهذا الاختزال به سمة الكل، فهو يكون بؤرة الكلام المراد، ومركز الفهم للنص الغائب، ويتحد مع الوسائل التعبيرية المحيطة به فلا ينفصل عنها بأية حال، وهو صيغة مركزة

(١) راجع: التداولية والشعر، قراءة في شعر المدح في العصر العباسي، عبد الله بيرم،

الأردن، دار مجدلاوي للنشر، ٢٠١٣م، ص ٣٤.

(٢) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، القاهرة،

دار المعارف، ط ١٥، ١٩٨١م، مادة (خزل)، ص ١١٥١.

تحمل المرجو منها، والغاية القصوى للعبارة، ولا يكون الخطاب المختزل مثقلاً بالتراكيب، ونجده لا يحمل تقنيات خطابية غريبة بل هو خطاب يلجأ إليه صاحبه ليعبر عن قمة الإيجاز في عبارته، وبها يُرضي المتلقي عبر تغليف رسالته بما ينسجم مع موضوعها، ويحمل على عاتقه الرسالة السامية لها في توجيه المتلقي تجاه شيء ما، وليس يوجه لغيره.

ومقتضى الحال في العبارة المختزلة أو النص المختزل يجعل صاحبها يستعمل ما من شأنه خلق الاختصار للمعلومات عبر العبارات القليلة، أو لنقل إيجاز القصر، وأيضاً فإن في هذا اختصاراً للوقت، لا سيما في العبارات الشفهية، وقد جُعِلت البلاغة في الإيجاز.

والاختزال أسلوبٌ فني في الكتابة أو ما يعادلها من رسم أو صورة أو ما شابه، يتم من خلاله اختصاراً لتقليل التراكيب اللغوية، وتجريدها أو اقتصارها على أكثرها أهمية، وأوضحها صورة لغوية معبرة، إنه إذن تجريد التعبير إلى أدق أساسياته لإرسال رسالة محددة دون التأثير في المعنى المراد أو الدلالة، وهذا يعمل على أن تحدد عناصر الدلالة كلها في هذا الخطاب المختزل، أو لنقل أن هذا يجعل المتلقي يتخيل المعاني، ويحصرها من خلال هذا الخطاب المختزل، فيستدعي في ذاكرته عمقاً وإحساساً عبر ما توحى به العبارات الموجزة، وما تستدعيه من مخزون ثقافي وفكري لديه حول هذا التعبير.

وغاية الخطاب المختزل تكون في الكشف عن وظيفته الفعالة في تحفيز التدبر، والاستدلال، والاستدعاء لما تكوّن، ولمع في مخيلة القارئ حول نص ما أمامه يستدعي فهمًا صحيحًا لكي ينتج ما يخفيه الخطاب من دعوات، وتحفيز لأمر ما، لا سيما إذا كان أمرًا توجيهيًا، فيوضّع المتلقي للنص أمام بناء لغوي فعال مؤثر ذي إحياء قوي، ومؤشر مركزٍ لشيء ما يستطيع فك مركباته إذا فك طلاسّم هذا الخطاب، وعرف ما يخفيه وراءه، إنها ومضة

مكتفة بشحنات دلالية، ولغوية تجعل القاريء يسعى إلى الظفر بمكوناتها نتيجة ما تولده من أفهام تجعل القاريء يكتسب مقدرة على تجاوز معاني العبارة إلى ما وراءها من أهداف، وإيماءات إشارية يجد القاريء نفسه أمامها مستثمرًا لدلالات النص المخنزل يثير في عمقه المعرفي، والثقافي مخزونًا متعدد الاتجاهات لكثافة فكرية لديه.

والخطاب المختزل في النصوص بأنواعها هو تعبير غير تقليدي؛ فهو يصنع تعبيرًا يبتعد عن التقليد للأفكار، ويعمل على إثارة لا وعي القاريء عبر اختزال هذا الخطاب للحد من العبارات، والمعاني، أي الاقتصاد في هذه التعبيرات للحصول على أكبر قدر من الفوائد بلاغيًا ونحويًا^(١)، وأحيانًا يكون الخطاب المختزل بمثابة الشكل الذي يظهر المعنى المقصود بعناية، ويكون معبرًا ليس فقط عن المعاني في صورة لغوية بل يكون متضمنًا الإيحاء القوي الذي يولد الأفكار، ويستميل المشاعر، والأخيلة تجاه شيء ما.

ويمارس الخطاب المختزل سلطة ضمنية خفية، وهي النصح والإرشاد، وهو يقر معطيات عامة إنسانية أو مجتمعية، وتكون القيم المتضمنة به أكبر من مجرد قضية مطروحة؛ فبُعدُ الأفق في الخطاب المختزل يجعله يستشرق المستقبل، ويضع صورًا متخيلة له، وعلاجًا لأمراضه، وعرضًا لمشكلاته، إنه إشارات توصل حاضر النص بمستقبله الذي تحويه عناصره، وتستشرق مكوناته للقاريء.

والمتلقي حين يفتن لبؤرة التركيز في النص المختزل يدرك المعنى الجوهرية الذي يعالجه الخطاب أحيانًا، فالبؤرة بمثابة الطريق الواضح لمن أراد

(١) راجع: تأثير الاختزال اللوني على الأعمال النحتية المعاصرة، مروة محمد محمد حسن، مجلة الفنون التشكيلية، مجلد ٦، عدد ٢، كلية التربية، جامعة المنيا، ٢٠٢٢م، ص ٣٠.

نجاة، لا سيما إذا كان الخطاب يدعو للامتثال لأمر ما، أو الابتعاد عن آخر، ويكون ذلك عبر رسالة مبطنة بغلاف لغوي يطالعها المتلقي، ويفتك بشفرات كلماتها، وأفقها التأويلي، وهنا يكون الخطاب مستعملاً لوسائل ضاغطة لها أثرها في خلخلة أفكار المتلقي، وهدايته لصوابه، فيتحقق مراد النص، ومبتغاه في إيصال رسالته السامية^(١) التي تقبع بين ثنايا كلماته الناطقة بلسانه.

وفي صورته العامة، فإن الخطاب المختزل هو استخدام تعبيرات محدودة لفظاً لخلق تأثير مطلوب يتشكل في استمالة أو توجيه أو وجوب فعلٍ لشيء ما، وغالباً ما يستخدم فيه تشكيلٌ مجددٌ ذو طابع لغوي واضح يجسد بناءً لغوياً بعيداً عن الضيق، والقيود، فيكون التأثير المتولد من التعبيرات تلك عميقاً ذا مغزي؛ كونه يجد طريقه لأوساطٍ متعددة من الناس، ويكون الاختزال عبر الحذف أحياناً أو قصرٍ أو اختزال في الدلالة^(٢).

والاختزال له من العمق الدلالي بمكان؛ فدلالات أعمق من العبارات المنظومة يظهرها الخطاب المختزل حسب معطيات القول الكلية، والمخاطب في نصه دائماً ما يبغى شيئاً فريداً من خلال الدمج بين معطيات كلماته المختزلة، حيث يكون التركيز على الجانب التعبيري أو المعنى المتولد، ولا يقوم الاختزال بمراعاة الجانب اللغوي في النص من الناحية البنوية الشكلية فحسب، وإنما يضع في الحسبان القوة الإيحائية المؤثرة، والتي تتولد جراء هذا الخطاب المختزل من الناحية النفسية، والاجتماعية، بل والتاريخية أيضاً، فهو يقدم الشيء في صورة عامة شاملة بحيث يتوافق مضمونها مع نواحٍ عدة، وأيضاً

(١) راجع: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، المغرب، الرباط، دار الأمان،

ط١، ٢٠١٣م، ص١٦.

(٢) راجع: الاختزال في اللغة، هدية فايز الرشيد، إشراف: عادل سليمان بقاعين، الأردن،

جامعة مؤتة، ٢٠١٣م، ص٧.

فالكلامُ المختزل يخلص فيه صاحبه إلى تخلص كلامه من عوائق الفهم، والصعوبة، وهذا لا يعني التخلص من أساسيات الجملة لتعطي المعاني المنوطة بها، ولا يستثنى بناءً لغويً بعينه بل التعويلُ فيه يكون على التواصل المتقن بين النص والمتلقي، فالإقتطاعُ في الكلام لا يكون فقط للإيداع النصي أو تغليف المعنى المراد فقط، بل لصنع تواصل فعال مع المتلقي، له أثره في إثراء النص، وزيادة فعاليته المرجوة.

وتتمية الغاية المرجوة من الخطاب المختزل تجعله لا يأتي بما يتقل كاهل العبارات فيبتعد عن كل ما من شأنه ألا يخلق الإيجاز القوي لمقتضى الحال في العبارة، فتكون العبارة المختزلة رموزًا كتابية يستعملها صاحبها ويختصر بها أكبر قدر من المعلومات في وقت قصير، وذلك حين يكون في حاجة ملحة إلى ذلك الأمر لا سيما بلاغيًا....^(١) وهذا الأمر له أهميته في إعلاء شأن الدلالة، والطاقة الكامنة في المعنى الخاص بهذه الدلالات الغنية، والملبئة بالدلالات الموحية.

والخطابُ المختزل هو أحدُ أشكال الحفاظ على اللغة، وتطورها، فهو يتصفُ بالسهولة، واليسر، وهما بلا شك أمران لازمان للغة لتتطور، وتتغير للأفضل، ولتقوى سيرورتها على الألسنة، ويسهل حفظ مفرداتها، وتعبيراتها الدالة، ولا سيما اللغة العربية، وقمة تطورها بلا جدال يُظهر أحدَ جوانبه (القرآنُ الكريمُ) الذي كثرت صورالاختزال فيه، فالاختزال اصطلاحًا هو الحذف عمومًا عند أهل العربية، وقد جاء ذلك في كشف اصطلاحات الفنون^(٢)، وما يهمنا هنا

(١) انظر: المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية، جزء ٣، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، الرياض، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ط ١، ٢٠٢٣م، ص ١٣٨٩.

(٢) انظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، جزء ١، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: محمد علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ص ١١٤.

في الخطاب المختزل هو الاختزال الدلالي للعبارة المختزلة، حيث الاهتمام ببيان الدلالات المختزلة للألفاظ المعطاة، حيث هناك في باطن الكلمة الكثير من المعاني الغائبة السانحة، ويشغل المختزل اللفظي دورًا مهمًا في الخطاب الاتصالي من خلال الإيجاز الذي في العبارة حيث المعنى القوي، والتأثير، فهو أداءً قصديًّا يوجهه صاحبه للمتلقي بغية حثه على أمر ما ليفعله، أو ليتجنبه. ويتصف الخطابُ المختزلُ بالمرونة، وعدم الجمود بل هو متجدد باستمرار، ويستمر عطاؤه كلما طالعه المتلقي، وسَبَرَ أغواره، فهو يعتمدُ تغليب الجانب الوظيفي الدلالي على نظيره اللغوي الشكلي؛ لأن غايته توجيه رسائل أو حث على أمر ما بشكل يسير واضح، وإن خفيت معانيه في أثواب ألفاظه، إنه خطاب يُجِلُّ المعنى ويكشف عنه بوضوح في مناسبات يتفوق فيها القاريء على شفرات النص ليفتك بالمغزى، ويقتنص الدلالات المرادة، وهو يفترض وجود متحدث ومستمع يكون لدى الأول نية التأثير في الآخر^(١).

والتكثيف والتبحر في عمق المعاني سمتان من سمات الخطاب المختزل هذا دون إخلال أو إنقاص للمعنى من كلماته التي تتجزأ التعبير عنه، إنه انحياز لما به يُفضَّل المعنى ويقوى، وهذا يدعو لاختزال عدد من الكلمات ما أمكن دون أن يسبب هذا الاختزال جفافًا للمعنى بل إنه يزيده عمقًا وحضورًا عبر التلميح له بقوة^(٢)، والمعنى في الخطاب المختزل حين يُعْطَى عبر طبقة لفظية مقصودة توصل القاريء للمعنى المراد فإن ذلك يكون عبر رموز، ودلالات مقارنة بتعبيرات أخرى تؤدي المعنى نفسه، ولا شك في أثر ذلك؛

(١) انظر: قاموس التداولية، جوليان لونجي، وجورج إيليا سرفاتي، ترجمة: لطفي السيد

منصور، العراق، بغداد، الرافدين، ط١، ٢٠٢٠م، ص ٨٥.

(٢) راجع: مفارقة النصوص القصيرة جدًا، قراءة في قصائد رعد كريم عزيز، فلاح رحيم،

مجلة الأقلام، عدد ٣، أيلول ٢٠١٥م، ص ١٢٣.

فالنفس تتوق لكشف كل ما كان غير واضح، وتجد لذة لا تُنكر عند تحقيقها ذلك.

والكلامُ المختزلُ في الخطاب القرآني يكون ذا حشدٍ قوي لمعاني عديدة بها القصد للتوجيه لغرض ما، يدعو صاحبه لفهم شفرات كلماته، وما خفي وراء كلماتها من اختزالات لفظية، وأخرى تتعلق بالمعاني تحمل دعوة لأمر معينه تعالج قضية ما أو تعرضها بغية التنبيه، والكشف لأمر ما، ويفطن لها القاريء الأريب عبر الدلائل والاحتمالات في الآية الكريمة، وكان ذلك جلياً في آيات الأمراض المعنوية في القرآن الكريم التي هي محل البحث (إن شاء الله تعالى). وفي هذا البحث المتواضع لن يتم التطرق لضروب الاختزال، كما سلف من اختزال جملة أو حرف أو غير ذلك بالتفصيل، ولكن سينصب الاهتمام على المختزل الدلالي للآية التي حوت مرضاً معنوياً معيناً، حيث نأتي للتوجيهات، والواجبات مما تنتجه مضمرات الآيات، فهي تختزل في باطنها قضايا أوضحها المرض المعنوي، كالسرقة أو الإسراف أو غيرهما، كما سيأتي بالبحث، فالمختزل الدلالي المضممر هو ما نريد الكشف عنه من وراء المرض المعنوي الذي تبينه الآيات الكريمات، والقصد من وراء هذا المضممر من توجيه أو تأكيد على أمر ما أو التأكيد على قضية ما.

الأمر الثاني: الأمراض المعنوية: معانيها، وأنواعها:

يشير المرض إلى السقم الذي هو نقيض الصحة، ويكون في الإنسان والحيوان، وأمراض الرجل: إذا وقع في ماله العاهة، وريح مريضة أي: ضعيفة الهبوب، وكل ما ضعف فقد مَرَضَ، والمرض والسَّقم في البدن والدين جميعاً، فدلالات المرض في شتى صورها تأتي لتشير للضعف، وعدم القوة، أو لتدل

على عدم صحة الشيء، وأيضًا تحوي دلالات السلب، وعدم الإيجاب^(١) فالمرض يحمل دلالة الوصف السيء لما عليه الشيء.

وقد ورد المرض ومشتقاته في (القرآن الكريم) أربعًا وعشرين مرة، منها آيتان مكيتان واثنان وعشرون آية مدنية، وكانت الألفاظ المتشكلة فيها كلمة المرض: المريض، ومريضًا، ومرضًا، ومرضى^(٢)، وجاء أيضًا في أن المرض يكون في الأمور المعنوية، كمرض النفاق، ومنه قيل: رأي مريض: أي جائب صاحبُه فيه الصواب^(٣) فالمرض سواء حقيقة كان أم مجازًا فهو الخروج عن حد الصواب، والصحيح لأن يكون في الشيء مهما كان نوعه أو ميدانه.

واصطلاحًا، فإن المرض هو خروج الإنسان حسًا أو معنى عن حد الصحة إلى السقم والعلة، أو عدم السير على حالة إيجابية يرضاها الإنسان ومجتمعه، وعند المفسرين، فإن المرض هو حقيقة ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به، ويوجب الخلل في أفعاله، ومجازًا يكون في الأعراض النفسانية التي تُخل بكمال النفس، كالجهل، وسوء العقيدة، والحسد، والضغينة، وحب المعاصي، لأنها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية^(٤)، وهناك من يراه: "حقيقة في عارض للمزاج يخرجه عن حد الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجًا غير تام، وبمقدار الخروج يشتد الألم

(١) راجع: لسان العرب، ابن منظور، مادة (مرض)، ص ٤١٨٠، و ٤١٨١.

(٢) راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م، ص ٣١١.

(٣) انظر: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، جزء ٢، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٧م، ص ٢٠٦.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جزء ١، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٤٥.

فإن تمَّ الخروج فهو الموت، وهو مجاز في الأعراض النفسانية العارضة للأخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها، وإطلاق المرض على هذا شائع ومشهور في كلام العرب^(١).

وفي (القرآن الكريم) فإننا نجد المرض على وجهين: أحدهما بدني جسمي، والآخر مرض معنوي يصيب القلب والنفس، وما نخرج إليه هنا هو النوع المعنوي غير العضوي، وعند البعض يصيب القلب فقط أو الروح عامة، الشق الثاني من التكوين الإنساني: البدن، والروح، ويكون أثرها سبباً على النفس في كل الأحوال بل وعلى من حولها أيضاً، وإنه يورث صاحبه أضراراً لا حصر لها.

وذكر (القرآن الكريم) المرض البدني أو الجسدي في مواضع متفرقة، منها في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرْجٌ...﴾^(٢)، وفي: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾^(٣)، وغيرها في مواضع عديدة، وأيضاً فقد ذكر المرض المعنوي غير الجسدي في القرآن، ومن تلك المواضع قوله: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"^(٤) وقد ذكر (الرازي، ت ٦٠٦هـ) في تفسير الآية أن المرض صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة... فإذا وقع

(١) التحرير والتطوير، جزء ١، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ص ٢٧٩.

(٢) سورة النور، ٦١.

(٣) سورة التوبة، ٩١.

(٤) سورة البقرة، ١٠.

في القلب من الصفات ما صار مانعاً من هذه الآثار كانت تلك الصفات أمراضاً للقلب...^(١).

والمرض المعنوي يطلق على ما يخل بمزاج النفس على سبيل المجاز، وما يجعلها تصاب بنقص في كمالها من نفاق، وجهل، وشك، وعتو، وغير ذلك من فساد الاعتقاد الحق والصائب واضطراب الحكم للعقل وفساد الخلق^(٢)، وأصول المرض المعنوي بهذا ترجع كلها إلى القلب أو النفس أو الروح، لذا فهي أمراض لا تُشَخَّصُ بالطريقة المعروفة طبيياً، ولا تحتاج لأدوية طبية كذلك المعروفة للمرض البدني، وكلها تصيب الإنسان فتخرجه عن التصرف السليم وحد الصواب والاعتدال اللذين يجب التحلي بهما في الحياة مع النفس والمجتمع، وبها يفقد القلب والنفس الوجهة الصحيحة التي يجب التوجه شطرها في التعاملات الإنسانية مع الغير، وقبلها مع (الله) سبحانه وتعالى، ولذا فقد أشار القرآن في غير موضع إليها محذراً منها.

واهتمام (القرآن الكريم) بهذه الأمراض، والتحذير منها، دليل على خطورتها على النفس والقلب، ولأن القرآن ما أنزل إلا لخير البشرية جمعاء فإنه عبرها يعكس ما يجب على المرء التحلي به، وما يجب أن تكون عليه نفسه، وما يتمتع به قلبه من صفات تصلح حياته، وتعينه على عبادة (الله) سبحانه، والانخراط بسلاسة في المجتمع، والحياة بصورة طبيعية لا تشوبها شوائب الكدر والنفاق، وهذه الأمراض أتت في آيات اختزلت داخلها الكثير من الأمور والقضايا التي تقبع بها، وتعطي الآيات ما يدل عليها بقوة، والمتلقي الجيد هو من يفتن لهذا ويستنتج بقوة، إنها المضمرة القولية المختزلة داخل الآيات،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جزء ١، ناصر الدين البيضاوي، ص ١٥٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، جزء ١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص ١٣٠.

وهذا مناط البحث المتواضع هذا.

إن البحث محاولة متواضعة موجزة لسبر أغوار المرض المعنوي الذي أشار إليه (القرآن الكريم) وتوضيح ما يصيب به صاحبه، سواء على مستوى النفس أو القلب، حسب نوعه، وهي لا تقل أهمية عن نظيرتها الجسدية؛ فهي تصيب صاحبها مثلها تمامًا، ولا بد من علاجها؛ لتستقيم حياته، والمرض المعنوي قد أتى مختزلاً لقضايا وإشارات مهمة لأُمور لا مفر للإنسان من معالجتها، إن المرض المعنوي هنا بمثابة شفرة يحلها المتلقي ليبصر معطيات وأمورًا ليست باليسيرة أو غير المجدية.

والبحث لا يبغي تفسير الآيات أو الكشف عن بلاغتها لغويًا وبلاغيًا، فقد قُتِلَ هذا الأمرُ بحثًا، وإنما يعمل على استجلاء المضمرات التي اكتتفتها الآيات الكريمات من دعوة لأُمور معينة، كالتخلص مثلاً من النفاق أو الشك أو الجهل أو الرِّشَا؛ كونها سحتًا، وينكر آكلي السحت هذا، إنها دعوة كريمة من الشرع الحنيف للاستشفاء من تلك الأمراض اللعينة التي لا يخلُ منها مجتمعٌ، والتي لا تكون فيه إلا آذن بالخراب والتفكك وغياب العدل والتلاحم بين أطراف سكانه، باختلاف طوائفهم وسماتهم، وما جاء الشرعُ إلا لخدمة البشر، وإصلاح شؤونهم الدنيوية والأخروية؛ حتى تسود الرفاهية، ويتحقق التقدم والرخاء له.

المبحث الأول: القرآن الكريم، وحديثه عن الأمراض المعنوية التي تصيب

النفس:

ونقصد بها تلك الأمراض التي تصيب النفس، وتكون محلّها، ومركز التأثر بها، وذلك تبعاً لما ورد في (القرآن الكريم) حول تلك النفس التي بين جنبي الإنسان، والبحث لا يتعرض للفروق بين معانيها المتعددة، وإنما ينظر لما يصيبها (النفس) إذا ما قصد بها تلك التي تكون بالإنسان، وما يعترها من خبث، ومكر، وسحر، وإسراف، وسرقة، وسفاهة، وعتو، وغيرها مما سيرد في البحث. إن شاء الله تعالى. وما اختزله خطابها من دعوة قوية للتخلص من شرور كل مرض؛ حتى يستقيم الإنسان، ويصلح حاله، وأيضاً للكشف عن اختلاف مضمرة الخطاب القرآني في كل آية حوت المرض نفسه، وذلك لاختلاف المقامات، والحالات التي يرد فيها.

ومفهوم النفس هو الروح، وهكذا جرى تعريفها عند العرب على ضربين: أحدهما الروح، والثاني: معنى النفس فيه جملة الشيء وحقيقته، والنفس يعبر بها عن الإنسان جميعه كقولهم: عندي ثلاثة أنفس، والنفس: الجسد، والعرب جعلوا النفس التي يكون بها التمييز نفسين: نفس تأمر بالشيء، ونفس تنهى عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمر نفساً، والتي تنهى كأنها نفس أخرى^(١)، وأيضاً لها في القرآن معاني عديدة، منها: أهل الإيمان، والعندية، والإنسان، و(آدم) عليه السلام، وعلى ذات (الله) سبحانه، والقلب، وإن لفظ (النفس) بمشتقاته أكثر ما جاء في القرآن بمعنى أهل الإيمان، وأخوة الدين، وجاء بدرجة تالية بمعنى الإنسان عموماً، وجاء بدرجة أقل بمعنى (آدم) عليه السلام، وبمعنى الروح، وبمعنى ذات (الله) تعالى، وبمعنى الإنسان ذاته، وبمعنى القلب، وبمعنى العندية، وهذا يدل على الثراء الدلالي للفظ (النفس)

(١) راجع: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، تحقيق: علي بك الكبير، وآخرون، مادة (نفس)، ص ٤٥٠٠، و٤٥٠١.

في العربية.

المطلب الأول: الإسراف:

الإسرافُ لغة: مجاوزة القصد، مصدرٌ من: أسرفَ إسرافاً، والسرفُ اسمٌ منه، يقالُ: أسرفَ في ماله: عجل من غير قصدٍ، وأسرفَ في الشيءِ: إذا جاوز به حدّه، وهو مُسرفٌ على نفسه: إذا كان يتعدّى حدودَ الله إلى ما حرّمه الله، وأصلُ هذه المادّةِ يدلُّ على تعدّي الحدِّ، والإغفالِ أيضاً للشيءِ، والسرفُ: الغفلة، والإسراف: التبذير، ويكون في النفقة، والإسراف: وضع الشيء في غير محله^(١)، وعرفه (الحافظ ابن حجر) اصطلاحاً بأنه: "مجاوزة القصد في كل فعلٍ أو قولٍ، وهو في الإنفاق أشهر"^(٢)، وأما (الرجاني) ففي معجم (تعريفاته) فالإسراف هو: "إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس"^(٣)، فالخروج عن حد الاعتدال في كلا التعريفين واضح بقوة، ولذا عدُّ في حقل الأمراض المعنوية التي تصيب النفس غير السوية.

وفي (القرآن الكريم) فقد جاء الإسراف في مواضع عديدة منها في قوله: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُدُوءًا زَيْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات الكثير^(٥)، ونظرة متأنية لمواضع

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، تحقيق: علي بك الكبير، وآخرون، مادة (سرف)، ص ١٩٩٦، و ١٩٩٧.

(٢) فتح الباري، كتاب اللباس، ابن حجر العسقلاني، القاهرة، المطبعة السلفية، جزء ١٦، ص ٣٢٣.

(٣) معجم التعريفات، محمد بن علي الرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨١م، ص ٢٣، و ٢٤.

(٤) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٥) ورد الإسراف في سور: الإسراء/٢٩، والفرقان/٦٧، و ٦٩، والأنعام/١٤١، ويونس/١٢، ويونس/٨٣، والشعراء/١٥١، ويس/١٩، وغافر/٢٨، و ٣٤، و ٤٣، والدخان/٣١، والذاريات/٣٤.

ورودها نجد أنها تفيد خروج الإنسان - نفسه - عن الاعتدال في الإنفاق أو مجاوزة المعقول، والظلم غير المقبول أو الإنفاق غير الصحيح للمال، وهو يأتي . الإسراف . وصفاً أو مخبراً به عن شيء، أو في موضع يطلب فيه الابتعاد عنه؛ لخطورة ما يعود به على صاحبه، ويأتي مقروناً بأكل أو شرب؛ لينهي الإنسان عن التبذير، وليرسي قواعد إصلاح وإرشاد في المجتمع لحدود الإنفاق، ويبين حدود المعقول له، ويأتي عبر الأمر والنهي لإرشاد الإنسان، ونصحه بالإقبال على ما من شأنه أن يقيم حياته عامة، ويحفظ له ماله، فالمسرفون لا يُطاعوا، والإسراف لا يكون لمن اتصف به إلا كان كاشفاً عن اضطرابه، وعدم استقامته دينياً أو حياتياً، كفرعون أو أصحاب النار أو البخلاء، وتقترن صفات الارتياب، والكذب مع الإسراف في كل من كان مسرفاً، فيجب تجنبه، ومن كان مؤمناً حقاً كان غير مسرفٍ دائماً، وأيضاً غير بخيل بل هو يعي متى يكون الإنفاق أو الإمساك.

ولفظ (الإسراف) ورد في (القرآن الكريم) على معان عدة منها: (الإسراف) ويعنى (التجاوز عن الحد المشروع)، ومن ذلك قوله للدعوة للاعتدال في المأكل والمشرب، كقوله: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، فالخطاب القرآني هنا يضمّر دعوة قوية إلى الأكل من الحلال، وكذلك عدم الإسراف فيه (الأكل)؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن، وغيرها من الآيات التي تفيد فيها كلمة الإسراف أيضاً النفقة في طاعة (الله) وحده، كما في قوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"^(٢) فهي دعوة للإنفاق المعقول، فالمؤمنون لم يكونوا لينفقوا أموالهم في معصية الله، فلا تبذير ولا تقتير في إنفاق الأموال هنا، فكل ما كان في معصية (الله) وإن قلّ فهو إسراف، لذا كان الأجدر التنبيه على الإكثار من الإنفاق في

(١) سورة الأعراف: ٣١.

(٢) سورة الفرقان: ٦٧.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

طاعة الله، فهو ليس تذييراً أو إسرافاً، أما في معصية (الله) فكل ما أنفق يُعدُّ إسرافاً وخروجاً عن حد الاعتدال الذي يجب أن تكون فيه النفس طائعة (الله) ولا تعين صاحبها على معصيته.

إن الخطاب هنا يدعو لتجنب النفس ذلك المرض الذي قد يصيبها، وتكون فيه خارجة عن حد المعقول في المأكل والمشرب، وما يتعلق بهما من الحد المعقول الذي يدعو لعدم الإكثار، وأيضاً دعوة لعدم تحريم الأكل والشرب إلا بحقهما، ولا سيما إذا كانا بعد صوم أو حاجة ملحة، وأيضاً يجب وضع حدود لهذا؛ تجنباً للضرر.

ويرد الإسراف أيضاً في الآيات ليعطي معاني الخروج للنفس عن وجوب الطاعة إلى المعصية المضرة بصاحبها، ونقصد بها هنا (الشرك بالله)، كما في قوله: "... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ" ^(١) فهنا المسرفون هم الذين تعدوا حدود الله، وهذا جامع لكل الصفات السيئة التي بها سظهر التعدي على حقوق الناس والمجتمع، وأيضاً فهي صفة لمن فاق شِرْكُهُ الحدود والمعقول، إنه فرعون كما في قوله: "... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ" ^(٢) وهنا تضرر الآيات دعوة إلى الحذر من هؤلاء، ومن كانوا على شاكلتهم، فهم لا يكسبون غيرهم إلا الخروج بالنفس عن طاعة (الله) وهذا أكبر الذنوب والمصائب.

والإسراف أيضاً ورد في سياق الحديث عن نكاح الأيتام ليفيد معنى (الحرام) كما نجد في قوله: ﴿..... وَلَا تَأْكُلُوهَُا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ.....﴾ ^(٣) فهنا نهي عن أكل أموال الأيتام بغير ما أباحه (الله) أو بغير حق أو بغير الواجب المباح

(١) سورة غافر: ٤٣.

(٢) سورة يونس: ٨٣.

(٣) سورة النساء: ٦.

لهم، فكلها تشير لمعاني الحرام، وكلها معاني مؤداها واحد، وهو حرمة أخذ مال اليتيم بغير وجه مشروع، ففي هذا خروج عن حد الاعتدال في إعطاء اليتيم حقوقه التي يريد غيره أن يسلبه إياها، وهذا له ضرره المادي والمعنوي على الأشخاص والمجتمعات بلا جدال.

وتأتي الصفة المذمومة (الإسراف) لتدور في معاني فعل ما هو خلاف ما وجب فعله شرعاً، ومنه الاعتداء على الغير ثأراً منه دون ذنب، كما يظهر في قوله: ﴿... وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰناً فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾^(١)، فقتل غير القاتل بالمقتول معصية، وسرف، فلا يُقتل به غير قاتله، وهذا أمر من شأنه صيانة الحقوق، وعدم تفشي الإجرام، والانهيار للمجتمعات، فالإسراف في القتل خروج عن حد الاعتدال؛ فهو مدعاة للفساد، والانتشار للظلم، والمجتمع العشوائي غير المتقدم، وهذا الأمر من شأنه هدم المجتمعات، لذا كان الأمر عبر النهي المولد له بقوة: "فلا يسرف..". للنهي عن القتل لغير القاتل، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، فما أعظم الالتزام بالعدل هنا!؟

ولا تغيب معاني الإفراط في المعاصي لتدور في فلك الإسراف، ومعانيه، كما مُثل في قوله: ﴿قُلْ يُعْبَادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾^(٢) فالإسراف هنا يشمل إسراف المؤمن، وإسراف المشرك، فهنا جميع من أسرف على نفسه هو مخطيء، كان من أهل الإيمان أم الشرك؛ لأن الله عم بقوله: "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم" جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفاً دون آخر، فلا يجب الإكثار من المعاصي؛ فهذا إضرار بالنفس، وخروج عن الاعتدال الذي يجب أن تكون عليه، فالخطاب

(١) سورة الإسراء: ٣٣.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

به توعية لجميع الخلق، ودعوة لطاعة (الله) سبحانه.

إن لفظ الإسراف في جميع المعاني التي جاء عليها في (القرآن الكريم) إنما هي معاني متداخلة، ومترابطة، ويجمعها قاسم مشترك، هو تجاوز الحد المشروع، كما هو واضح في مضمرات الآيات، والخطاب في الآيات كلها يدعو لتجنب هذا الأمر المشين (الإسراف) سواء تعلق بالأمر الحياتية من مأكّل، ومشرب، وإنفاق، وتعامل مع الغير، أم عقائديًا كالاعتدال في الطاعة، وتجنب المعصية، والإسراف فيها أو الشرك (بالله) سبحانه، فكلها تجعل المجتمعات تتجه للانهايار المادي أو الروحي والعقائدي، وتتبدد التبذير في كل الأحوال؛ فالتبذير من أفعال الشياطين، كما أشار سبحانه: "إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" (١) فخطاب الإسراف في (القرآن الكريم) يدعو الإنسان لإرساء ما يكسبه الراحة، والطمأنينة، والحياة الأفضل له. وسواء كان الخطاب للإنسان للنهي عن الإسراف أو التحذير منه في شتى مناحيه من عقيدة أو حياة أو تعاملات، فإنما مضمر القول أتى ليبين العواقب الوخيمة لذلك، وتخاطب الآيات النفس البشرية لتردعها عبر النهي، أو سوق القصص المختلفة للكشف عن الآثار السيئة للإسراف، وهذا الأمر إنما هو المسكوت عنه أو المضمر المختزل للآيات، وهذا يأتي بعد التأمل والتفكير القوي لما تضمنه الآيات الكريمات، وما اختزل من هذه المعاني عبر الآيات يفتن إليه القاريء بمساعدة ظاهر الآية الكريمة، ويعتمد الفهم لمضمر الآيات على ما تضمنته من افتراضات سابقة أو سياقية أو ما يتولد لدى القاريء، وما تصنعه الآيات من تواصل بينها وبين القاريء عبر إرشاده ودعوته لما يصلح به أموره، وما جاء عليه أسلوب الآيات سواء كان خبريًا يحمل دلالات الإخبار أو الوعظ أو غيره، أو جاء إنشائيًا يعطي معاني النصيح أو النهي أو الوجوب، وهكذا يصل المتلقي لتضمينات الآيات المختزلة والمضمرة التي تنهيه عن

(١) سورة الإسراء: ٢٧.

الإسراف عبر ما تسوقه من قصة أو أسلوب به الإرشاد والترغيب في ما من شأنه أن يردع النفس المصابة بهذا المرض (الإسراف) والذي أخرجها عن الاعتدال^(١).

والآيات تتحدث عن الإسراف، وما ذُكِرَ فيها إنما يرشد إلى المسكوت عنه لإرشاد المتلقي لما أضمُر وغاب وليصلَ إليه فإنه يجب الفهم لهذا الانسجام بين الألفاظ المشكلة للآيات، وتدليلها بقوة على هذا المضمُر من المعاني التي تدعو لهذه الأمور الكثيرة، والتي تفهم بالدلائل والقرائن والإيحاءات المتولدة من الآيات الكريّمات، والمسكوت عنه عمل مكثف في حاجة قوية لمتلقٍ يتمتع بالدربة، والحنكة في الفهم، والمعرفة القوية لما تداولته معاني الألفاظ والآيات بكاملها^(٢)، فالخطابُ المضمُر هنا إنما يرشد إليه ما ظهر من الآيات في صورة تضع المتلقي أمام بناء لغوي يحيل بقوة إلى ما أضمُر بداخله، وهذا من شأنه توليد التدبير، والاستدلال، والتفكير الناقد وإذا تحقق هذا جاء المضمُر سهلاً واضحاً، علاوة على ظهور ما أُخْتزل من المعاني في جوف الآيات.

وهكذا فما أضمُرته آيات الإسراف التي أوضحت أن هذا المرض المعنوي يخرج النفس، والإنسان عن حد الصواب، والاعتدال، إنما تُضمُر دلائل قوية تفيد إظهارَ عَدَمِ محبّةِ الله للمُسرفين والمُبذّرين، وتؤكد أنه يُفضي إلى طَلَبِ المالِ بالكسبِ الحرام، ولا شك في أن الإسرافُ في الأكلِ يَضُرُّ بالبَدَنِ، وتوضح الآيات أن المُسرفُ والمُبذّرُ يُشاركهُ الشَّيْطَانُ في حَيَاتِهِ، ولا جدال في

(١) راجع: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(٢) راجع: التحليل الحجاجي للخطاب، أحمد قادم، وسعيد العوادي، عمان، الأردن، كنوز المعرفة للنشر، ط١، ٢٠١٦م، ص٩١.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

أن الإسراف والتبذير هو من صفات إخوان الشياطين، وأخيراً فإن الإسراف يجزئ إلى مذمات كثيرة، وصاحبه مؤكد تعرّضه للمساءلة والحساب عن مصارف ماله، وإن تسلّ مضمرات الآيات، وما اختزلته عن الإسراف والتبذير تخبرك بقبحهما، وتؤكد لك ولنا أن عاقبتُهما وخيمةٌ مزرّة.

المطلب الثاني: البخل:

يأتي البخل كمرض معنوي ليخرج صاحبه عن حد الاعتدال والصواب، والبخل لغة: ضد الكرم والجود، وقد بخل بكذا: أي: ضنّ بما عنده ولم يجذ، ويقال: هو بخيلٌ وباخلٌ، وجمعه بخلاء، والبخال: الشديّد البخل، والمبخلّة: ما يحملك عليه، ويدعوك إليه، وبه، والبخل في كلام العرب منع الرجل سائله ما لديه، وعنده من فضلٍ عنه^(١) أما اصطلاحاً فالبخلُ قد عرفه (الجرجاني) بأنه: "هو المنع من مالٍ نفسه"^(٢)، وهكذا، فالتعريفان: اللغوي، والاصطلاحي يتفقان على صفة المنع الذي يكون عليه الشخص البخيل، وأن البخل مرض معنوي يصيب صاحبه فيقعده عن العطاء والإيثار، واللذين هما مفتاح الحب والتعاون بين الناس.

ونجد (القرآن الكريم) قد أورد لفظ البخل في مواضع عدة ليحذر الإنسان من هذه الآفة الخطيرة، فنجد قوله سبحانه: "الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"^(٣)، وقوله: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (بخل)، ص ٢٢٢.

(٢) معجم التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، ص ٤٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٤.

بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ....^(١)، وغيرها من الآيات الكريمة^(٢)، وأوضحت بنية البخل فيها أنه مرضٌ لا يتعلق بالمال فقط، بل هناك البخل بالعلم، والمعرفة، والنصيحة، وهذا يدل على توغل البخل عند المصاب به لميادين شتى تبعده عن حد الاعتدال في تصرفاته، فيؤثر عليه سلبيًا، وعلى المجتمع الذي يحيا فيه كذلك.

ومن كان بخيلاً يأمر غيره بالبخل؛ كونه مريضاً لا يتمنى الخير لغيره إطلاقاً، ويظهر الباطل لغيره، فهو قد جمع بين البخل بالمال والبخل بالعلم، وهذه طامة كبرى لمن كان به هذا، وهو ليس خيراً له حين يجمع المال ويكفره؛ فسيطوق بما بخل يوم (القيامة)، فيجب البذل والعطاء وترك الإمساك، وهذا مضمراً ما تعطيه آية البخل في سورة (آل عمران)، وفي ذلك تعريض قوي بالبخل والتقتير، وأن الصفات تلك تؤدي لهلاك صاحبها، وكذلك العلم حين يبخل به صاحبه، وهذا الأمر يعطي ضرباً من تشكيل المعنى على هيئة خاصة تعتمد التكثيف والاختزال وتفتح آفاقاً للمتلقي، وبأباً أوسع له من التفكير والتفاعل البناء مع مضمورات الآيات القولية.

ومن كان بخيلاً، ومنع حق (الله) سبحانه في الزكاة، فهو من المذمومين؛ كون المذمومون لا يشكرون (الله) تعالى على ما أعطاهم من نعمته، ويغفطون غيرهم حقهم فيها، ومن ظن الخير في المنع فقد أخطأ، ومن بخل بالإنفاق في الخير فلن يعمل بما يرضي الله، وهكذا فإنه يهياً نفسه لغضب (الله)، ولدخول النار، كما جاء في سورة (الليل)، والآيات الباقيات كلها تدور في هذا الفلك الدال على وجوب العطاء، والبعد عن الشح أو البخل، فالآيات إذن يتجلى بها

(١) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٢) ورد لفظ البخل أيضاً في سور: النساء: ٣٧، والتوبة: ٧٦، ومحمد: ٣٧، والليل: ٨.

المعنى بناءً على معطيات ضمنية، وتصريحية توضحه، وترشد إليه بقوة، ومتضمنات القول المضمر والمختزلة أكثر نطاقاً وانتشاراً من تلك الصريحة، فلا يوجد شيء إلا وله مردوده النفعي أو الضار، فالمضمر المختزل يصل إليه المتلقي بالاعتماد على ما لديه من معارف سابقة تعينه على الوصول للمعاني غير المباشرة والمرادة فيعي ويدرك ما غاب داخل الآيات، ويفهم مقصودها التوجيهي، ويعمل به.

ولأن البخل مرضٌ غير مرئي، فهو كالأعراض الجسدية يمكن أن يضحى معدياً، فالآيات يتسع معناها الدلالي للتحذير من المنكرات جميعاً، فالبخل يعدي صاحبه به غيره، لذا كان الدم للبخلاء، ولا سيما المنافقين الذين يتواصلون بالبخل فيما بينهم، ويدعون غيرهم لذلك، وهذا استنتاج واضح كوننا نجد الآيات تتضمن حملات دلالية إضافية لتعاضد الكلمات المكونة للآية الكريمة لترشد المتلقي إلى القواعد التي يجب اتباعها لينتظم كلامه بها لا سيما القواعد التي ينبع منها المعنى الخفي غير الواضح^(١).

وتظهر الآيات الحقد الدفين الذي عليه البخيل لغيره من الذين ينفقون، وفي هذا إشارة إلى ضالة عقله، وسوء تدبيره، إنه يبید خُلُقَهُ بيديه، وأيضاً هو بهذا محروم في دنياه، ومحاسب ومؤاخذ في آخرته على فعله هذا، بل إنه يضحى بغيضاً من (الله) سبحانه، ومن الناس، بل إن بخله يجعله يبخل في عباداته، وصلته (بالله) عز وجل، وهذا أشد البخل، ولهذا نجد الآيات تحذر على مستوى الفرد والجماعة من هذا المرض المعنوي، لذا أتت في سياق دعوة الفرد والجماعة للتخلص منه (بيخلوا - بخلوا - تبخلوا - من بخل) للتأكيد

(١) راجع: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الجزائر، الأمل

على أنه مرض اجتماعي أحياناً، فهو لا يختص ببيئة معينة بل بجميعها، فالنداء عام للجميع، وهذا يظهر للقاريء بعد وقوفه على إحياء الكلمات، وما تولده في نفسه، ووقوعها في مخيلته، وما تحمله من دلالات أصلية وفرعية، ولا سيما الدلالات التي تحمل التأثيرات النفسية للكلمات بما تثيره من أحاسيس، وما تُلفت إليه من آفاق، علاوة على الدلالات المعجمية^(١)، فالهدف هنا يتجه نحو تغيير قناعة البخلاء، وأنهم لا يضررون إلا أنفسهم.

ولأن لكل مقام مقالاً فالكلام نُصحَّ مستمر، وقائم للجميع عبر شتى العصور، لذا فصفة الجمع تغلب على الآيات حين توضح هذا المرض المعنوي، وتنص المضمرات القولية للآيات على إظهار أحوال البخلاء مع غيرهم، ومع أنفسهم، في دعوة للتبصر والتعقل في هذا الأمر، فالنص القرآني هنا وسيلة ضاغطة على المتلقي يخلخل النص بوساطتها أفكاره، ويرجعه إلى صوابه فيحقق المنفعة العامة، وهذا هو مراد النص، فما جاء الشرع الحنيف بشيء إلا لينعم صاحبه بالخير، وما نهى عن أمر إلا لإنقاذه من الوقوع في براثن الهلاك^(٢).

ومضمر الآيات لا يأتي إلا بعد التوصل للمعنى العام والفرعي به، وهذا يتوصل إليه المتلقي بمعاونة السياق والدلالات السياقية التي بها الآية، وهنا نجد أن البخل مرض لا بد من معالجته، سواء أصيب به فردٌ أم مجتمعٌ، إن البخل يعد محوًا للصفات الإنسانية، وإثباتًا لعادات حيوانية، وهذا أمر خطير تعمل الآيات على تنفير الإنسان منه، والنص الصريح للآية هو مقتضى يصل

(١) راجع: علم اللغة الاجتماعي، هادي نهر، العراق، الجامعة المستنصرية، ط١، ١٩٨٨م، ص٨٥.

(٢) راجع: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، بيروت، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٣م، ص١٦.

المتلقي من خلاله إلى مضمر الكلام، والهدف منه، وبمقتضاه يظفر بالقضايا التي استترت به، وتوارت بالحجاب بين جنبات كلماته، والآيات أوضحت أن البخلاء هم من يمتلكون أكثر، ومع ذلك يعدون ما لديهم قليلاً بسبب ما يتهياً لهم؛ لبخلهم الشديد، وأنفسهم المريضة.

المطلب الثالث: البغي:

يأتي المصدر (البغي) من الفعل: بغي يبغي، وهو مأخوذ من مادة(ب.غ.ي)التي تدرو حول معنيين: طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبته، والبغية: الحاجة التي يطلبها الإنسان، والفساد من قولنا: بغي الجرح إذا ترمى إلى فساد، والباغي: الذي يطلب الشيء الضال، والبغي: التعدي، والبغي: الاستطالة على الناس، وهو الكبر، والبغي: الفساد والظلم، ومنه بغي الوالي: ظلم^(١)، وأما اصطلاحاً فنجد أن البغي هو: طلب تجاوز قدر الاستحقاق، تجاوزه أو لم يتجاوزه، ويستعمل في المتكبر لأنه طالبٌ لمنزلة ليس لها بأهل^(٢)، فالمعنيان اللغوي والاصطلاحى يدوران في فلك واحد، معاني الأخذ عنوة، وإغماط الغير حقوقهم، والتعدي على الآخرين، وهذا ما يلجأ له الشخص غير السوي، وصاحب النفس المريضة.

و يحذر (القرآن العظيم) من هذا المرض عبر سوق آيات عديدة، ويبين مصير الباغيين، وكيف كانوا، وماذا فعلوا، ومنها قوله: " قُلْ إِنَّهَا حَرَّمَ رَبِّي

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي: مادة (ظلم)، ص ٣٢٢، و ٣٢٣.

(٢) انظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت ١٩٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٢٨٤.

أَلْفَوْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ أَحَقِّ...^(١)، ومنها أيضاً قوله: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ..."^(٢)، ووردت في مواضع أخرى كثيرة^(٣)، وبالنظر للآيات الكريمة نجد البغي قد تنوعت صورته، من بغي الإنسان على نفسه، سواء جاء متمثلاً في ظلمه غيره أم ظلمه لمجتمعه بكتمه للعلم أو عدم إسداء النصيح أم الظلم الذي لا يدفعه من يقع عليه عن نفسه، فدلالات السلب هنا ما تعطيه دلالات البغي.

والخطاب المضمّر في الآيات الكريمة يدعو الإنسان إلى التماس العدل والحق في تعاملاته المتعددة مع غيره، ومن قبل هذا في عباداته، وتقريبه (لله) سبحانه، وقد تعددت معانيه، ومواقفه، فالبغي بغير الحق هو عدوان على الحق والعدل، فالبغي في العقيدة يكون ماثلاً في التعدى على الوحي الإلهي، وعلى الدين الإلهي، وأن يُنسب (لله) جل وعلا ما لم يقله، كما في قوله: "..... وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...."^(٤)، وهي عادة سيئة، كانت، ولا تزال موجودة، وعبر البغي يأتي تفريق الناس، كما

(١) سورة الأعراف: ٣٣.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

(٣) ورد البغي في القرآن الكريم في سور: البقرة، آيات: ٩٠، و١٢٣، و١٧٣، و٢١٣، وأل عمران: ١٩، والأأنعام: ١٤٦، ويونس، الآيات: ٢٣، و٩٠، والأعراف: ٣٣، والنحل، الآيات: ٩٠، و١١٥، ويوسف: ٦٥، ومريم، الآيات: ٢٠، و٢٨، والرحمن: ٢٠، والحج: ٦٠، والقصاص: ٧٦، وص، الآيات: ٢٢، و٢٤، والشورى، الآيات: ١٤، و٣٩، والحجرات: ٩، والجاثية: ١٧.

(٤) سورة البقرة: ٢١٣.

في قوله: " وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ....." (١)، ولم يحملهم على هذا التفرق، والاختلاف إلا البغي الذي استولى على نفوسهم، فإن الاختلاف بعد العلم، أدعى إلى الذم والتحقير؛ لأنه يدل على أن هذا الاختلاف لم يكن عن جهل، وإنما كان عن علم وإصرار على الباطل، وقد جاء الناس جميعاً بدءاً ببني إسرائيل العلم الإلهي في الكتب السماوية فبغوا عليه بالوحي الشيطاني الجاهل، ووقعوا في التفرق، وكذلك فعل المسلمون فيما بعد، فالبغي هنا أوضح مدى الخروج عن حد الاعتدال في العقيدة والطاعة (لله) سبحانه. وأما البغي بين الناس فيكون ماثلاً في الفواحش، وارتكابها، وتنوعت صورته، فمنها الإغارة، والجور على الآخرين، ومنها الزنا، والاعتداء على الغير، وما تضمنه الآيات ينص على وجود بغي يمثل في الاعتداء المادي وارتكاب الفواحش في صور متعددة، فهناك الاعتداء المادي، وتدعو بقوة من يقع عليه اعتداءً ألا يسكت عليه، وأن ينتصر لنفسه، كما نجد في قوله: " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" (٢)، ومن ينتصرون لأنفسهم فانتصارهم يكون عبر ردهم الاعتداء بمثله، ولا يبغي المرء في رده، فلو ردَّ البغي بمثله، فقام المعتدي بتكرار اعتدائه فإن (الله) سبحانه يعد المظلوم بالنصرة، كما قال: " ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ" (٣)، وفي هذا درء لثقفي الانتقام، والجرائم، والعنف المجتمعي، ونجد وصفاً للباغين بأنهم ظالمين أو فاسدين، وما اختزل في خطاب الآيات يحمل توبيخاً، وتعنيفاً للباغين، فيجب ردعهم، وهنا فالمضمر للآيات يحمل دعوة ذات جناحين:

(١) سورة الشورى: ١٤.

(٢) سورة الشورى: ٣٩.

(٣) سورة الحج: ٦٠.

الدعوة للبعد عن البغي، ودعوة للإصلاح عبر وجوب مواجهة الباغين، وعدم الرضوخ لمطالبهم الظالمة، ومن قاوم الظلم فلا شك أن (الله) معه وإنه لناصره، ولو بعد حين.

ونجد من المضمرة القولية للآيات دعوتها للالتزام بالحد في الأخذ أو التعامل مع الشيء، ففي الأكل والشرب، وحتى أكل الميتة، أحياناً، رغبة في النجاة حال اللجوء لأكلها منعاً للهلاك، فيجب أكل أقل الأجزاء التي تجنب الإنسان مواطن الهلاك فقط، وألا تُأكل تليذاً بل اضطراراً، وأيضاً فالمرء يجب عليه ألا يبغى على غيره، فهذا محرّم، كما في قوله: ".... وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" ^(١)، فلا بد من العدل بين البشر، ولا بد من الابتعاد عن الفواحش، والمنكر، والبغي.

ونجد الآيات قد أوضحت البغي السلوكي، وأنه لا يجب للإنسان المعتدل النفس، السوي السجية، أن يظلم غيره، ويغتمه حقه، وهذا يؤكد قوله: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقُتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...." ^(٢) فالإنصاف، والعدل هنا واجبٌ اتباعهما حتى عودة الحق لنصابه، وذلك حين ترجع الفئة الباغية عن بغيها، وتقبل تحكيم أمر (الله) سبحانه؛ ليتحقق العدل، وأيضاً فهناك البغي السلوكي المائل في الشهوات، كما نراه في قوله: "يَأْخُذَ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا" ^(٣)، وأيضاً في: "قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ - وَلَمْ أَلْكَ"

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

(٣) سورة مريم: ٢٨.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

بَغِيًّا^(١)، وقوله: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...."^(٢) فيجب الابتعاد عنه تمامًا.

إن الخطاب المضمّر في الآيات ليدعو بقوة لتجنب البغي باختلاف أشكاله، فهو يورث الفساد في الأرض والحدق بين الناس، وليس أدل على هذا توضيحًا مما أتى به فرعون اللعين، فنبذه المجتمع، ومن قبل هذا توعدده (الله) سبحانه، بالخسران، إنه فاق في بغيه المعقول، وهذا ما يؤكده قوله: "وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...."^(٣) وهنا اجتمع في فرعون البغي، والعدوان، وختم بهما حياته، فاستحق الهلاك.

وهكذا فخطاب المضمّر القرآني أمر بتجنب البغي، وأتت الآيات منظومة حاملة المعاني الني تقبع خلف الظاهر من الآيات الكريّمات، وهي دائمًا توحى بالقصد والمراد بقوة عبر النظر إليها، وفهمها جيدًا، واستتطاق الآيات يجلب ما وراءها من قضايا ودعوات قوية لتجنب ما من شأنه إهلاك الأفراد والمجتمعات، فحين الخروج عن حد الاعتدال والصواب يكون الهلاك قادمًا بما كسبت أيدي الناس، والآيات واضحة كوضوح أثر هذا المرض الخبيث في المرء والمجتمع، فالدعوة المضمرة داخل الآيات المتنوعة هنا تتحد مع بعضها لترسي القواعد الأخلاقية التي من شأنها إقامة المجتمعات السليمة، فليس للفرد، ولا المجتمع، حقّ في أن يبغى على غيره، وكل هذه الأمور إنما يستدل عليها المتلقي كون التعابير المكتوبة تكون أكثر فاعلية، وأكثر غنى بالمعاني المضمرة من التعابير الصريحة التي تتناول قضية ما، فالمقاصد تكون ممرّةً عبر الإضمار، ولذا

(١) سورة مريم: ٢٠.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) سورة يونس: ٩٠.

فالمتلقي له حرية أكبر في التأويل والاستدلال على ما خفي من المعاني بقوة^(١) واستنتاج مكنونها، ومكنتزاتها القوية.

إن الخطاب المختزل، والمضمر هنا تنطق به الآيات عبر ما أضمرته من حقائق تستند إلى قرائن، ودلالات فردية أو جماعية، وأحداث اجتماعية عبر قصص توضح موارد البغي، وأصحابه، وأشكاله، ومصير الطائفة الباغية، فرداً كانت أم جماعة، ويضحى المضمر القولي لوئاً ينطق بالمعنى المراد عبر الآيات التي أتت بصيغة الجمع في أغلب المواضع الدالة على الإخبار الذي يتحول لمسار قصدي خفي، تمليه طبيعة الخطاب، ويفرضه سياقه، وهو الطلب على سبيل الوعي بهذا المرض، عبر الطلب القوي للابتعاد عنه، والتمرد على صاحبه، فهناك دعوة إيجابية، ورفض سلبي، كلاهما تضمنه الخطاب المضمر، وهذا أمرٌ يحث المتلقي على الإيمان بصدق القضية، وأن يبصر بقوة مدى انتشارها، والخطاب يتجاوز حد الإخبار إلى الحث الخفي، والتوجيه إلى فعل شيء أضمر، وهو الانصياع لأوامر (الله) سبحانه، ومنها عدم البغي، ومحتواها المستقبلي يظهر في قناعته بحرمة البغي، وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع^(٢) فيبتعد عنه كليةً، ويحذر منه، بل يدعو غيره للابتعاد عنه.

(١) راجع: المضمر: كاترين كيريرات أوركينيوني، ترجمة: ريتا خاطر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص ٣٣.

(٢) راجع: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٧٩.

المطلب الرابع: البهتان:

يأتي البُهْتَانُ لُغَةً بمعنى: الكَذِبُ المُفْتَرَى، مِنْ بَهَتَ الرَّجُلُ يَبْهَتُهُ بَهْتًا وَبَهْتًا وَبُهْتَانًا، فهو بَهَاتٌ، أي: قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهُوتٌ، وبهته: أخذه فجأة، والبهتان: الافتراء، والبهية: الباطل الذي يُتَحَيَّرُ من بطلانه، والكذب كالبهت، وبَهَتُ الرَّجُلُ أَبْهَتُهُ بَهْتًا: إذا قابلته بالكذب، وبَهَتَ فلانٌ فلانًا: إذا كَذَبَ عليه^(١)، واصطلاحًا: البُهْتَانُ: هو الكَذِبُ الذي يُبْهَتُ سامِعُهُ، أي: يُدْهَشُ ويتَحَيَّرُ، وهو أَفْحَشُ الكَذِبِ؛ لأنَّه إذا كان عن قَصْدٍ يكونُ إفْكَاً^(٢)، وهكذا، فالتعريفان يتفقان في كون البهتان كذبًا شديدًا يخرج صاحبه عن الاعتدال، والطريق القويم.

وقد نص (القرآن الكريم) على وجود هذا المرض، وأشار لنفس صاحبها المريضة التي تدعي الزور والكذب، ويظهر البهتان تبعًا لمضمرة الآيات في صور هي: الزنا، وقذف المحصنات، والغيبة، والنميمة، وأخيرًا قول الزور أو شهادته، ومضمرات القول في الصور الأربعة تبين بوضوح مدى ما تتمتع به نفس المبتهت لغيره من حقد، ورغبة في الإضرار بغيره، فنجد البهتان يقصد به الزنا في قوله: "وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِنَّ وَارْجُلِهِنَّ"^(٣)، ومثلها قوله: "وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتًا عَظِيمًا"^(٤) والخطاب المختزل في مضمرة القول هنا، وفي آيات أخرى في السياق ذاته، إنما ينبه إلى خطورة الخوض في أعراض الناس، وأن هذا كذبًا مفترىً يجب محاسبة مرتكبيه، وفي ذلك صون

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (بهت)، ص ٣٦٨.

(٢) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، فصل الباء والهاء، ص ١٥٤.

(٣) سورة الممتحنة: ١٢.

(٤) النساء: ١٥٦.

للنفوس والأعراض من هذه النفوس الشريرة، التي ترمي غيرها بالباطل، وتتصل منه بعد ذلك، فيا له من ذنب كبير! إنه هنا من أسوأ الأحمال، حمل البهتان، فيا له من حرص عظيم من الشريعة على صيانة المجتمع، ومنع البغي والظلم، ومنع انتشار الأحقاد والعداوات بين أبناء المجتمع، ولولا هذا الردع لأُطْلِقَتِ التُّهْمُ بلا دليل، ولصدَّعتْ الألسنةُ جدران العفاف بين الناس، ولتفاوت أبنية الأعراض مهذمة، لا سبيل لإعادة بنائها، فما أعظم من الفسوق إلا البهتان، إنه الفسوق الجامع، فعلى المؤمن أن يبغضه وألا يرضاه، وليحذر الذين يتبنون مشاريع الفساد والإفساد في الأرض من عذاب أليم في الدنيا قبل الآخرة، أيظنون بإضمارهم الرغبة في شيوع الفاحشة أن (الله) تعالى غير مطلع على ما في نفوسهم؟! إن هذه المضمرات القولية هنا هي معاني خفية تطل من وراء الآيات لترسي منهجاً عاماً في حياة الإنسان، إنه ضرورة عدم الافتراء على الآخرين، والمعاني تكثر وتزداد حسب فهم القاريء للآيات جيداً فيتضح له مكنونها العظيم.

ومن يصل لعمق الآيات الكريمات يجد تصويراً قوياً لعقاب من يأتي هذا الجرم الخطير في الدنيا قبل الآخرة، فقصد الآيات، والوصول إليه، يجعل الدلالات تتشظى وتنتشر، وتأخذ القاريء إلى دلالات عميقة تحمل الإنذار والعقوبة والإثم المستحق لغضب (الله) سبحانه، والإبعاد للمفتريين عن رحمته سبحانه^(١).

والفهم الجيد لمضمرة الآيات الكريمات لمرض البهتان يدلل بقوة على أن من يرمي غيره بغير ما اكتسب هو مستحق لعقاب (الله) ومن يسير بين الناس

(١) راجع: البعد التداولي للمبني للمجهول في القرآن الكريم، حسين الفتلى، الأردن، مجلة دواء، المجلد الثاني، عدد ٧، ٢٠١٦م، ص ٢٠٥.

بالنميمة والغيبة هو أيضاً مريض، لأن في هذا خوض أيضاً في أعراض الناس، كما صورته قوله: "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (١)، وفي ذلك أيضاً تأتي الغيبة والنميمة كبهتان أيضاً يجب الامتناع عنه، فليحفظ العاقل لسانه قبل أن يورده موارد الهلكة، فالمؤمن المستقيم عند (الله) كريم، فالحذر الحذر من إيذائه، أو انتقاصه وازدراؤه، فهذا هو الكذب الفاحش، وهذا هو البُهْتَانُ الكبير، أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات على سبيل العيب والتنقص لهم، وما هذا إلا لنفس مريضة تتلذذ بإيذاء الآخرين، وإفساد حياتهم، وصفوهم.

ومن معاني البهتان أيضاً الحرام، كما يوضح قوله: "وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَعَآئِثُكُمْ إِحْدَلُهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنَّا خَدُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا" (٢)، فإنه من الحرام إذا كان ما يهبه الزوج لزوجه لا يحل له أن يعود فيه، وقد صار حقاً لها، وأخذة هكذا إثم وبهتان، فكيف بمن يسلبها حقها من غير طيب نفسها، وقد أوضحت الآية التالية هذا الأمر، في قوله: "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" (٣) فالحياة الزوجية حق لها أن يتنازل فيها الزوج عن هذا الإثم والحرام الذي يريد فيه سلب من كانت زوجه حقها، والذي هو أقل ما يقدم لها، لا سيما أنه حقها شرعاً.

وهكذا فهذا المرض الذي انتشرت أعراضه، ووضحت بين جنبات الآيات الكريمات، إنما أضمرت به دعوات خفية للمتلقي للتخلي بصفات المؤمن الحق، فهو لا يخوض في أعراض الآخرين، ولا يفحش في القول، ولا يسير بين الناس بالنميمة، ولا يقرب الزنى والفواحش، وليعلم أن ما أتى به من ادعاءات سوف

(١) سورة النور: ١٦.

(٢) سورة النساء: ٢٠.

(٣) سورة النساء: ٢١.

تدور الدائرة عليه، ويُسقى بما سقى به غيره، والأسباب يسوقها (القرآن الكريم) ليبصر المريض بهذا الأمر، وهذا الفعل المنكر عله يرتدع عنه، ويشرع في مداواة نفسه قبل فوات الأوان، وكل هذا لم يكن ليظهر للمتلقي لولا فهمه الجيد للآيات ومضمراتها القولية المختزلة، فالأشكال الوجيزة، ومنها الآيات الكريمات، لها معاني خاصة تحقق بلاغة تختلف عن بلاغة الأجناس الأخرى من فنون الكلام العربي^(١).

المطلب الخامس: الجهل:

الجهل نقيض العلم، وتجاهل: أظهر الجهل، والمجهلة: ما يملك على الجهل، والجهل ضد الخبرة^(٢)، وهكذا فالجهل نقيض العلم، أي خلاف الطمأنينة، والعقلانية، فمن كان جاهلاً بنفسه مريضة؛ كونها لا تحكم العقل في أمورها المعروضة عليها أحياناً، وهذا يخرج بها عن حد المعقول والصواب، واصطلاحاً فقد جاء الجهل ليشير إلى اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه: إنه شيء في الذهن^(٣)، وهكذا فاللغة، والاصطلاح يتفقان في تعريف الجهل، وهو أنه ضد العلم، أو عدم إرادة اتباع الحق أو الصواب، وهذا الأمر ليس جيداً لأن تتبعه النفس البشرية السوية.

وفي (القرآن الكريم) فقد جاء الجهل في مواضع كثيرة، منها قوله: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " ^(٤)، وأيضاً قوله: " وَقَرْنَ فِي

(١) انظر: بلاغة الأشكال الوجيزة، النادرة أنموذجاً، سليمان الطالي، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م، ص١٨٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة جهل، ص٧١٣، و٧١٤.

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص٨٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٩.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

بُبُوتِكُمْ وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^ط... وغيرها في مواضع متفرقة^(١)، وقد جاء الجهل ليضممر عددًا من المعاني والقضايا التي تطفو حين اللجوء للمضمرات القولية التي تكتنف الآيات، فنجد من معاني الجهل الذي هو نقيض العلم، ومنها قوله: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا"^(٢) فنجد الذم للجهل قد أضمر في الآية الكريمة، وأيضًا في الآيات التي آلت معاني الجهل فيها إلى البعد عن العلم واكتسابه، وهذا أمر لا بد منه للإنسان؛ فبالعلم يستطيع المرء الوصول لحقيقة الأشياء، وكنهها، ويبتعد عن مواطن الزلل، فالجهلاء لا صفة لهم إلا السخرية من العلماء، والآخرين بصفة عامة، والجهل أقبح ما يكون بالإنسان، والنقيض، فإن العلم أملح ما يكون بالإنسان^(٣)، وهذا الأمر ترشد إليه الآيات الكريمتُ عبر استنطاق مضمونها القولية، والجهل بمقادير الأمور، وعواقب التعامل معها أمر له عواقبه الوخيمة، ومنها قوله: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نُدْمِينَ"^(٤)، فالجهل هنا يورث الندم، ومن المضمر القولية هنا وجوب ألا نتعجل في الحكم على الأشياء إلا بعد التثبت منها، ومن صدق المُخْبِرِ بها، وهذا أدعى لعدم الظلم، والافتراء على الناس، وسلب حقوقهم الخاصة بهم، وأيضًا

(١) أتى الجهل في القرآن الكريم في سور منها: البقرة: ٦٧، والأنعام: ٣٣، ويونس: ٨٩، وهود: ٤٦، و٢٩، ويوسف: ٣٣، والفرقان: ٦٣، والقصاص: ٥٥، والأنعام: ١١١، والأعراف: ١٣٨، والنمل: ٥٥، والأحقاف: ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، ٧٢.

(٣) راجع: الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: عبد الكريم خليفة، ونصرت عبد الرحمن، وآخرين، جزء ٢، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ص ٣٧٧.

(٤) سورة الحجرات: ٦.

فإن من يعمل السوء بجهالة هو مريض أيضاً؛ فالجهل لا يولد إلا السوء، لذا ينفّر (الله) عباده المؤمنين من الجهل والجهلاء.

ومن مضمورات القول في آيات الجهل الذي يعطي معاني عدم العلم هو الإشارة إلى عدم علم الجهلاء بحال الرسل، وصدق دعوتهم للتوحيد، إنهم (قوم يجهلون)، والفعل المضارع يفيد الإشارة إلى هذه الصفة المستمرة حتى يوم القيامة، فهناك المشركون دائماً، الجاهلون بأوامر (الله) تعالى، ونواهيه، ولأن الظلم نوع من الجهل ونتاج عنه أحياناً؛ فقد ذمّه (الله) سبحانه، فلذا نجد اقتترانه بالظلم، مثل الوصف (ظلوماً جهولاً).

ومن معاني الجهل أيضاً: الإثم، والمعصية، فنجد منها قوله: "قَالَ يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"^(١)، والذي يضمن أموراً عدة، منها: ضرورة الاعتماد على (الله) سبحانه، والثقة في عوده الصادقة، وعدم الاعتراض بالظواهر، وألا يركن إليها المرء بل يجب الرجوع (الله) هنا، والابتعاد عن وساوس النفس، ولا بد أيضاً من الإعراض عن الجهلاء الذين يضمرون الشر لغيرهم، وسواء كان الجاهل يقصد به الكافر أم السفية أم الأرازل من الناس فإنه يجب إثارة البعد عنهم، وعدم مخاطبتهم، واعتزالهم^(٢)، ومظاهر الجهل المفيد لمعاني الإثم أيضاً تبلورت في عصيان (الله) سبحانه، وفعل الإثم، مثل قوله: "قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ"^(٣)، وهنا الإثم يظهر عبر جهل أقدار الأشياء، والتصرف دون علم، فهنا الجاهل يتصرف بطيش، واحتكام خاطيء لنفسه

(١) سورة هود: ٤٦.

(٢) راجع: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، جزء ٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٥٤.

(٣) سورة يوسف: ٨٩.

المريضة، وهذا أمر يخرج بصاحبه عن حد الاعتدال؛ فالجاهل إنما يستمع لنفسه المريضة فتسول له رؤية الخطأ صوابًا، أما النقيض فهو الصواب؛ وسبب ذلك أن "العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار"^(١).

وقد يكون الجهل متشكلاً في ثوب الظن السيء (بالله) عز وجل، كما يجسده قوله: "... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ..."^(٢)، فهناك من أساءوا الظن بالله من وجوه كثيرة: فمنهم من يظن أن ما يقع من الأشياء التي تخالف هواه أنها لم تكن عن حكمة، ولا عن قدر سابق، ومنهم من يظن أنه بمجرد المشيئة لا عن حكمة فقط، ومنهم من يظن أن (الله) تعالى جاز على عبادته، وظلمهم، حتى فعل كذا، وفعل كذا، ظلم فلان، وآخر فلاناً، وأصح فلاناً، وأمراض فلاناً لماذا؟! تعالى (الله) سبحانه عن ذلك، وهنا مضمر قولي يرشد الإنسان إلى وجوب البعد عن هذه الدسائس، والوساوس الشيطانية، فيجب الإيمان بوجود الابتلاءات، وأنها اختبار من (الله) سبحانه، والمنافقون لا يعقلوا هذا، وإنما يسيئون الظن (بالله) سبحانه، فالجهل من الأسباب التي تؤدي إلى سوء الظن؛ بسبب عدم فهم حقيقة ما يرى، وما يُقرأ، ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، جزء ١، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، جزء ١، ص ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، ١٥٤.

الدقيق في هذه المواقف، خاصة إذا كانت المواقف غريبة تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، فهذا يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، ويظهر الانتقاص من القدر، والجاهلون هنا تذهب بهم هواجسهم إلى أن يظنوا (بالله) ظنونا باطلة، فهي من أوهام الجاهلية، وهذا دليل على جاهليتهم، التي تعني سوء ظنهم القبيح؛ فهم لم يخلصوا الإيمان (بالله) وبقدرته، وتقديره المقادير حسب رؤيته.

وهناك الجهل الذي يعني عدم الخبرة، فيندفع الجاهل هنا يخبط خبط عشواء، إنه لا يدري حال الغير، فيكون كالأنعام، فيحكم دون روية على الأشياء حسبما تراءى له، ولعقله القاصر، كما في قوله: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"^(١)، وهنا فإن مضمرة الخطاب القرآني المختزل يدعو المتلقي للعفاف والقناعة، وألا يكلف المرء من حوله ما لا يطيقون، وأن يحافظ على عزة نفسه، وإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفكر بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفكر فحين يراهم (الفقراء) يعرفهم بعلامتهم، وتدعو الآية للمساعدة للغير، دون خدش حياتهم، والمتلقي يعي هنا وجوب التفكر والدراسة للأمور، وعدم الجري وراء ما يظهر منها حين يريد حكمًا على الشيء، وأن ليس كل ما يلمع ذهبًا؛ فالجهل بالشيء يسوق صاحبه إلى القصور في فهم الشيء الذي أمامه فيجب ألا يندفع بما يراه، وأن يستقصي أولاً، ويبحث.

وأيضًا فالعفة هنا هي الغائب المضمرة، والمختزل في الخطاب، فيجب على المتلقي السعي لاكتسابها، والتخلي بها، ومن مواطن هذا عدم الانسياق وراء الأهواء، والخيالات الظاهرية، وإن العفة هي: "ترك الشيء، والكف عنه،

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

وأراد من التعفف عن السؤال فتركه للعلم.....^(١)، وإن ترك مسألة الناس لهي أنجع الوسائل لاكتساب العفة والكرامة، وهذا يدعو للعمل الدؤوب، وعدم التكاثر في طلب العلا، والسعي في طريقها بهمة ونشاط.

فلا يجب دائماً الحكم على الأشياء بالتسرع وعدم الروية؛ فهذا من صفات الجهلاء، ويجب الاحتكام إلى ذوي الدربة والحكمة، فمن يجهل الشيء لا يعرفه^(٢)، لذا فالمرء عليه بالمعرفة أولاً قبل الحكم على الشيء؛ حتى لا تكون أحكامه جائرة وظالمة في بعض الأمور التي تستدعي النظرة الثاقبة لبواطن الأشياء.

والجهل يضمّر معاني الشرك (بالله) سبحانه، ومنها قوله: "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"^(٣)، فالآية الكريمة تضمّر دعوة قوية للعمل بحكم (الله) تعالى المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء، والأهواء، والاصطلاحات، وأنه من المهم أن نؤمن بأن (الله) سبحانه هو أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها؟ فإنه -تبارك وتعالى- هو العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، والعاقل في كل شيء، وتضمّر الآية وجوب الحذر من المسالك الخبيثة التي يسلكها اليهود وأشباهم لكيد الإسلام والمسلمين، إنها ارتداد للجاهلية الأولى، وأيضاً نجد

(١) أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج ٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ص ٦٨.

(٢) انظر: الغريبيين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، تحقيق: أحمد فريد فريدي، جزء ١، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مادة (جهل)، ص ٣٩٠.

(٣) سورة المائدة: ٥٠.

قوله: "قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ" (١)، وهنا مضمّر قولي موجزه أن (الله) تعالى الكامل من جميع الوجوه هو مسدي جميع النعم، وهو المستحق للعبادة، وأن ما دون ذلك شرك به (سبحانه) وإن قمة الجهل لتظهر في الإعراض عن الحقائق الكبرى، والبيّنات الظاهرة، وأن تقرير الخصومة مع أهل الشرك والطغيان واجبة؛ حفاظاً على المعتقدات، وصوناً للمقدسات، فالمشركون إنما نظرهم قاصرة، لذا كان الاستفهام: "أفغير الله...". المولد لدلالات الإنكار التكذيبي بقوة لهؤلاء الذين لا يبصرون، ولا يتفكرون فيما حولهم، وقد رأوا الآيات البيّنات.

ويأتي السفه، والطيش، والضلال، وكل ما هو ضد صفة (الحلم) من اندفاع، وتهور، وعدم روية، كمرادف لمعاني الجهل ليضمّر أموراً، ومعاني عدة، منها وجود علاقة تناسب طردية بين السفه والاندفاع، وبين النفس الجاهلة غير السوية، ومنها نجد قوله: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (٢)، لتؤكد وجوب الانصياع لكلمة الحق، وعدم التشكيك في صدق الأنبياء، وألا يتعنّت المرء في السؤال حول شيء ما؛ فهذه من سمات الجاهلين السفهاء، وأيضاً عدم التسرع في الحكم، وتجنب الطيش، كما في قوله: "خُذِ أَلْعَفْثَةَ وَأَمْرًا بِأَلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (٣)، فهنا نصح وإرشاد لمن أراد سلاماً نفسياً، وحياة هادئة، إنه المضمّر القولي المختزل هنا، والذي يدعو للإعراض عن الجاهلين الذين لا يدركون قيم الأشياء والأشخاص والكلمات فيما يبدر منهم من أنواع السفاهة والإيذاء؛ لأن الرد على أمثال هؤلاء، ومناقشتهم،

(١) سورة الزمر: ٦٤.

(٢) سورة البقرة: ٦٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

لا تؤدى إلى خير، ولا تنتهي إلى نتيجة، وإن السكوت عنهم احتزاماً للنفس، واحتراماً للقول، وقد يؤدي الإعراض عنهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها؛ إنهم طائشون متسرعون يبعثون خلق التوترات.

ولا تخفى البلاغة القوية في هذه الآية الآتية اشتملت ثلاث كلمات: العفو، والعرف، والإعراض عن الجاهلين، لتضحى وقد تضمنت قواعد الشريعة في الأمور والمنهيات؛ فقوله حُذِّ الْعَفْوَ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله وَأُمْرٌ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام، وتقوى (الله) عز وجل في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: "وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" يقوى الحُضُّ على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغنياء، وغير ذلك من الأخلاق المجيدة، والأفعال الرشيدة، وإن في ذلك لنتيجة مؤكدة، هي الحياة الهادئة، والبال المستريح، ونرى حماقة في مضمون الآية المختزل، فلنبتعد عنها، كما في قوله: "إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ..."^(١)، فكم حالت الحميات دون الوصول للحق، وكم منعت تلك العصبيات أصحابها من ورود حياض الهدى والنور!، إن المؤمن لا تستفز حماقات أهل الجاهلية، ولا ينساق وراء رعوناتهم؛ فقد ثبته (الله) تعالى بما ألقى في قلبه من سكينه وتقوى، حتى إنك لترى السكينة في وجهه، وتلمس أثر التقوى في تعامله وأخلاقه، وفي هذا دعوة لتجنب حماقة، والاندفاع الأهوج الذي يصيب قلوب هؤلاء الحمقى فيقومون بإلقاء الأحكام دون تعقل أو تدبر، إنه التسرع، والاندفاع الطائش الأخرق. وتدعو مضمرات الآيات أيضاً إلى عدم التشبه بأفعال الجاهلية الأولى

(١) سورة الفتح: ٢٦.

في الزينة كما في: " وَقَرَّنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... " (١) التي تفيد وجوب عدم الاندفاع، والطيش في الزينة؛ فهذا تشبه بالحيوانات في اندفاعها وراء شهواتها، وما يتعلق بها، فيجب ألا تخرج النساء متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم، ولا دين، فكل هذا دفع للشر، وأسبابه، وإنما أمرهن بالتقوى عمومًا، وذلك لصالحهن وراحتهن، وإن في ذلك لحماية للسلم الاجتماعي، والحياة الأسرية؛ فلرجال أعمال من خصائصهم لا تحسنها النساء، وللنساء أعمال من خصائصهن لا يحسنها الرجال، فإذا تعدى أحد الفريقين عمله، اختل النظام في البيت والمعيشة، فلا بد أن ينصرفن إلى رعاية شئون بيوتهن، وتوفير وسائل الحياة المنزلية التي هي من خصائصهن، فيجب أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، ولا يخرجن إلا لحاجة مشروعة أو ضرورة ملحة.

وهكذا فالجهل يورث النقمة، والفسق أحيانًا، ولذا فالدعوة لتجنبه واجبة بشتى صورته التي تشكل فيها من جهل بمعنى عدم علم، أو الاندفاع والسفه، أو الشرك، أو ارتكاب الآثام والمعاصي، أو عدم الخبرة، أو سوء الظن (بالله) فكلها صاحبها مريض، ووجبت عليه مداواة من هذا المرض (الجهل) وصورة الجاهل تقبح وقد أصابه الوهن فعدل عن الصواب عبر ارتكابه المعاصي، وحكمه الجائر دون روية، وتشبهه بالجاهلين الأوائل وقد أضى منبوءًا في مجتمعه، وعلاجه إنما يكون بالرجوع للشرع الحنيف، وتعاليمه، والحرص على العلم والتفكير، والبعد عن مواطن الجهل، ومجانبة الجهلاء، والاحتكام للعقلانية، وعدم الاندفاع وراء وساوس النفس.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

المطلب السادس: الخبث:

يعد الخبث من الأمراض المعنوية المقيتة التي لا تورث صاحبها إلا الخسران، والخبث ضد الطيب من الرزق والولد والناس، وخبث الرجل أي خَبُّ رديءٌ، وخبث الشيء إذا صار ذا شرٍّ، والخبائث: الشياطين والحرام البحت هو الخبيث، وأصل الخبث في الكلام هو المكروه من كلام العرب^(١)، والخبيث يتناول ما خبث خَبَثَ الحديد، ولذا، فالخبيث يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح من الفعال، ورجل خبيث: أي رديء^(٢)، واصطلاحًا، فالخبث هو: هو إضمارُ الشرِّ للغيرِ، وإظهارُ الخيرِ له، واستعمالُ الغيلةِ والمكرِ والخديعةِ في المعاملاتِ^(٣)، فالخروج عن الصحة والاعتدال واضح في الأثر السيء الذي يخلفه الخبث.

وفي مواضع عدة من (القرآن الكريم) نجد الوصف القوي لهذا المرض، وكيف يكون أثره السلبي على صاحبه بل والمجتمع بآثره، فنجد قوله تعالى: " الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ...." ^(٤)، وأيضًا في: " قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" ^(٥)، وفي مواضع أخرى من الكتاب

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خبث)، ص ١٠٨٩، و ١٠٩٠.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، جزء ١، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٢٧٢.

(٣) انظر: تهذيب الأخلاق، أبو عمرو بحر الجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث والنشر، ص ٣٣.

(٤) سورة النور: ٢٦.

(٥) سورة المائدة: ١٠٠.

الكتاب العزيز^(١)، وقد تنوعت معاني الخبيث، وتفاوتت، ولكن لتجتمع كلها على فساد الشيء الخبيث، أيًا كان نوعه: عقيدة أم كلام أم عمل أم شيء آخر. وباستقراء الآيات الكريمات نجد مضمرات قولية مختزلة في الآيات تدعو لعدد من القيم والقضايا العديدة، فنجد أن الخبث يقصد به ما كان ضارًا من الأشياء، كقوله: "... وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ..."^(٢)، فهنا إباحة محمودة لتناول كل ما تشتهي النفس، من مأكّل، ومشرب، وطيبات النعم، وتقبيد لبعض الخبائث، فلا يقربها الإنسان، ومنها: الخمر، والميتة، ولحم الخنزير، كما في قوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ..."^(٣)، فهنا الخبيث الفاسد لا نفع من وراءه؛ فليجتنبه المرء، وهنا مقصد قولي للآيات ينص على وجوب طاعة (الله) سبحانه في أوامره؛ فما كانت إلا لصالح الإنسان في دنياه قبل آخرته، وأيضًا فإن النواهي كذلك لم تأت لتنعص عليه حياته بل لتجملها، وتجعل صاحبها في خير حال، ولأن الشرع الحنيف موكل بحفظ النفس، والروح، والعقل، والمال، والعرض، فالخبث هنا من أكثر ما يفسد عليه هذه الأمور؛ لذا فالتحريم له واجب؛ حفظًا للمرء، وحياته، ومجتمعه، فالخطاب هنا يبغي التوجيه والإفهام لكي يعين المتلقي على إمعان النظر في أسباب تحريم الخبائث، فالخبث يخرج صاحبه عن الصواب والاعتدال.

ومن الخبث نجد معاني الكلمة السيئة، فالخبث من القول هو الكلمة السيئة، كما صورها قوله تعالى: "وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ

(١) ورد الخبث في القرآن في سور: البقرة: ٢٦٧، وآل عمران: ١٧٩، والنساء: ٢، و٧٤،

والأنفال: ٣٧، وإبراهيم: ٢٦، والأنبياء: ٧٤، والأعراف: ٥٨، و١٥٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) سورة المائدة: ٣.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ"^(١)، فالمضمر هنا أن الكلمة الخبيثة ليس لها فائدة، ولا نفع ورائها، مثلها تماماً كشجرة لا تجد استقراراً أو ثباتاً على الأرض، وكذلك الكفر، لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عملاً، ولا يُقَبَّلُ منه شيءٌ، ومن هنا فالدعوة إلى الحذر القوي من الكلمة، وألا تأتي إلا طيبة نافعة، وما الكلام إلا صورة للنفس التي بين جنبي صاحبها تنطق بها، وبحالها، وكلمة الكفر، والمعاصي ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث، وعمل خبيث، ينكأ به صاحبُهُ، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى (الله) سبحانه منه عملٌ صالح، ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره، فلنحذر من كلماتنا وأسننتنا.

ويجب اجتناب الأصول الفاسدة من جميع الأمور في الحياة، ومنها الكلام، فلا يُزَاعُ إلا الكلام النافع، والمثمر، وكلمة الكفر كلمة ضارة بصاحبها، تورده موارد الهلاك، فهي كلمة سوء تضر صاحبها، ومن حوله، إنها لا جدوى منها، ولا فائدة، ولتحقيق الفائدة وضرورة الحذر جاء التمثيل الحسي بالشجرة المثمرة والخبيثة في الآيات لما له من أثر حميد في نفس المتلقي؛ فالتجسيم القوي لما غاب عن الإنسان ينقل المعنى من دائرة الخفاء للتجلي الذي لا تنكره العين ولا يشك فيه أحدٌ، ولا شك أن التشبيه هنا بليغ له مغزاه القوي، إنه قياس جميل لغائب على حاضر له أسراره وجماله؛ فإنه إن كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً، وإذا كان ركيكاً فالمعنى ركيكاً كذلك، فاللفظ لا بد أن يطابق المعنى الموضوع له في كل الأحوال، وهذا يصنع موقعاً قوياً للكلمة في المتلقي، وفكره، ويحدث تألفاً على أحسن شكل تنتظم فيه كلمات العبارة لتكون المعنى الغائب والمراد^(٢)، ولا يخفى التوجيه القوي في الآية لأهمية الكلمة في

(١) سورة إبراهيم: ٢٦.

(٢) راجع: الطراز الجامع لعلوم البلاغة وحفائق الإعجاز، مجلد ٣، يحيى بن حمزة العلوي،

القاهرة، دار الكتب الخديوية، ومطبعة المقتف بمصر، ١٩١٤م، ص ١٤٤.

حياة الفرد بل والأمم، فما تتركه من أثر طيب أو خبيث قادر على صنع الأمور الجيدة، وإلا فالأخرى هي الكائنة، فالكلمة الخبيثة مرض لا جدوى منه، ولا بد من معالجته بقوة حتى لا يتفشى، وينتشر بين الناس.

والخبيث يعني الكفر، ولذا نجد مضمراً قولياً في قوله: "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ" (١) هذا المضمرة يؤكد ضرورة امتثال المؤمن لأوامر (الله) تعالى، فالقياس هنا عبر تشبيه المؤمن بالبلدة الطيبة هو مثل ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب، وعمله طيب، وهذا يحث على البحث عن مواطن الأعمال الجيدة؛ لتعطي ثماراً جيدة، فالقلوب المؤمنة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإنها تقبله، وتعلمه، وتتبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها. في حين أن الكافر شبه بالبلدة الخبيثة، فهو من ذوي القلوب الخبيثة، التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضةً، فيكون كالمطر الذي يمر على السباح، والرمال، والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً، وهنا مضمرة قولية مفاده أن المؤمن إذا نزلت عليه آيات (الله) سبحانه انتفع بها، وأثمرت فيه حياة سالحة، أما الكافر فلا ينتفع بآيات (الله) تعالى؛ كون نفسه خبيثة معاندة، لا تريد الخير إنها تدور في فلك الفساد، والخروج عن الاعتدال، والصواب العقائدي، فالكافر لا ينتفع به أصحابه، ولا حتى نفسه التي بين جنبيه، إنه يرفض الإيمان، ولا ينتفع به أبداً (٢)، وهذا مرض لا بد أن يُعالج منه.

والخبث أيضاً يعني ما كان حراماً من الأشياء، فهو محرم، فهو إن كان

(١) سورة الأعراف: ٥٨.

(٢) انظر: تفسير مقاتل، جزء ١، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، بيروت، دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص ٣٩٦.

في مال فهو مال خبيث: أي حرام ليس طيباً، وإن كان عمل فهو حرام، وهكذا، ولذا فالخطاب يحمل مضمرًا قويًا ينص على وجوب التخلص من هذا الفعل الحرام، فمثلاً قوله: "وَأَتُوا الْيَتِيمَ أََمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ..."^(١)، فهنا الدعوة لتجنب استبدال الخبيث بالطيب، وألا يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس الحلال، ويجعل بدله من ماله الخسيس الحرام، فهذا إثم، ومعصية، علاوة على الأمر هنا بإصلاح مال اليتيم؛ لأن تمام إيتائه ماله حفظه، والقيام به بما يصلحه وينميّه، وعدم تعريضه للمخاوف، والأخطاء، إنها دعوة لصون أموال الصغار الذين لا يقدرّون على الحفاظ عليها، وتتميتها. وأيضاً ففي قوله: "وَلَوْ طَأَّ أَيْتِيَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْتَهُ مِنَ الْفَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَسِيقِينَ"^(٢)، نجد مضمرات قولية تبين أن الخبائث التي يأتي بها الإنسان تكون سبباً في هلاكه ودمار من حوله، فيجب الابتعاد عنها كلية، وكذلك فاتباع منهج (الله) وطريقه يجنب الإنسانه غضبه (سبحانه) وهنا أيضاً دعوة إلى تجنب الفاحشة الكبرى (اللواط)، وأنها ما كانت في قوم إلا عجل بهلاكهم، وعذابهم، وفي هذا صونٌ للأعراض، وحفاظٌ على سنة (الله) في خلقه، وحفاظٌ على الفطرة السوية في المجتمع، وتكاثره.

وهكذا فالمتدبر للمضمرات القولية للآيات الكريّمات هنا يجد أن مقاصد الآيات أنتت عبر صياغتها القوية، وأن مضمراتها القولية تكشف مقاصدها، وأن أغراضها تنوعت بين الأمر بأشياء، والنهي عن أخرى، وما أضمّر فيها من توجيهات يكون بحسب ما استقر عليه عقل المتلقي من فهم واختيارات مختلفة في الآيات في حال تلقيه لحالات مختلفة من الفهم ليقول ما يناسب المقام،

(١) سورة النساء: ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٤.

ويعي ما يتضمنه السياق، ويتأكد له مناسبة المقام للمعنى المقصود^(١)، وإن هناك علاقة قوية بين ملائمة مقتضيات المعنى والبناء التركيبي للآيات الكريمات في توضيح المرض المعنوي، واستجلاء الآثار المترتبة عليه، ولهذا فهي لها أثرها القوي في إظهار هذه المحرمات الخبيثة من مال أو شهوات أو شراب أو ما يُطلب اجتنابه بغية بناء المجتمعات، والحفاظ على القيم القوية لبنائه، لذا فمضمرة القول تتمتع بالوضوح عبر التدليل عليها بالقرائن والعلامات الدالة والمعبرة.

المطلب السابع: الخداع:

يعود أصل هذه المادّة لغويًا ليدُلُّ على إخفاء الشيء، فالخدعُ: إظهارُ خلاف ما تُخفيه، يقال: خدعه يخدعه خدعًا وخداعًا، أي: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، وخدعت الشيء: أخفيتَه، وكتمته، والاسمُ: الخديعةُ، وقيل: الاسمُ هو الخِداعُ، وتخدع القوم: خدع بعضهم بعضًا، والخدعة: ما تخدع به، والخداع: المنع والحيلة، والخداع^(٢)، وأما اصطلاحًا فالخداعُ هو: إنزالُ الغيرِ عمًا هو بصدده بأمرٍ يُبديه على خلاف ما يُخفيه^(٣)، فالأمر هنا يتعلق بالمكر، وإظهار الضد من المخادع لما يبطنه من آثام وشرور، وهذا خروج عن الفطرة السليمة للنفس السوية، والتي لا تتمنى إلا الخير للجميع، أو على الأقل لا تكره أحدًا دون سبب يذكر.

وفي القرآن الكريم فقد ورد الخداع في مواضع منها قوله: "يُخَدِعُونَ أَللَّ"

(١) راجع: نظرية نحو الكلام، رؤية عربية أصيلة، كريم حسين الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م، ص ١٥٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (خدع)، ص ١١٢، و ١١٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، جزء ١، ص ٥.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" (١)، وثانية في: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدَعُونَ اللَّهُ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا" (٢)، وأيضاً الثالثة في: "وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ" (٣)، وللوهلة الأولى نجد أن الخداع هو صفة المنافقين، وأن المسلمين ليسوا بخادعين لأنفسهم أو لغيرهم؛ إنهم أسوياء نفسياً لا يخرجون عن حد الاعتدال والصواب، هكذا يفترض بهم أن يكونوا، فالآيات تضر قوياً ووضوحاً مفاده أن (الله) سبحانه لا يخفى عليه هذا الأمر، وأن المنافقين أصحاب نفوس خبيثة، ولو حملت نفوسهم من الود أطناناً فهو ودٌّ زائف لا أساس له، ولا ثقل له يذكر.

ونجد مضمرًا قولياً مستفاداً من إتيان الأفعال دائماً بصيغة المضارع (يخدعون - يخدعوك - يخادعون) يؤكد استمرار هذه الصفة المنكرة في المنافق؛ إنها تلازمه كملزمة الظل لصاحبه، وأيضاً الآية تؤكد خداع المنافقين للمؤمنين، ومن مظاهره إظهارهم لهم أنهم إخوانهم في العقيدة، وأنهم لا يريدون لهم إلا الخير، بينما هم في الحقيقة لا يضمرون لهم الخير، وإنما يضمرون لهم العداوة ويتربصون بهم الدوائر، وأن (الله) يدفع عن المؤمنين ضرر خداع المنافقين، وإنما يخدعون أنفسهم؛ لأن ضرر المخادعة عائد عليهم، ولكنهم لا يشعرون بذلك، وفي ذلك أيضاً مضمرًا قولياً يثبت أن الخداع لا يضر إلا صاحبه، ويجب على المؤمن البعد عن الخداع والمخادعين؛ إنهم مرضى يعدون من اقترب منهم، ولم يأخذ حذره.

(١) سورة البقرة: ٩.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) سورة الأنفال: ٦٢.

ومن ظن نفسه سيفوز بخداع (الله) سبحانه أو المؤمنين فقد أخطأ؛ إن خداعه كالنار لا تأكل إلا نفسها، وهنا تنبيه على ازدواجية عجبية أخرى بصاحبها المخادع أن ينظر إليها، ويتخلص منها سريعاً؛ كي لا تهلكه، فقد قال (الله) فيهم: "..... وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"، وفي هذا مضمير قولي يوضح امتلاك المنافقين لنعمة الشعور مع عدم جدواها؛ لأنهم لم ينتفعوا من نعمتها، ولم يستعملوها فيما خلقت له، فكانوا كالفالاقدين لها، فالقصد المباشر للآيات يخفي وراءه مضمرات قوية تدعو لوجوب التزام النفس بالنقاء، والوضوح في التعامل مع الآخرين، وعدم التعامل بسياسة الكيل بمكيالين، فالألفاظ هنا تستدعي من المتلقي تواصلاً فعالاً مع ما تخفي وراءها كي يمر المقصد من اللفظ، وهذا يستلزم من المتلقي تأويلاً صحيحاً، وفهماً ناضجاً، فلم يصاحب الخداع المنافقين دائماً؟ إنه الفساد الأخلاقي والنفسي، إن الخداع، ومضمير آياته هنا، يجعل الآية الكريمة تضمير معاني تنتشعب عنه، تحمل أغراضاً مضمرّة تُستنتج لدى القارئ، ومنها أن المنافقين لم يعرفوا (الله) سبحانه حقاً؛ إذ لو عرفوه لعرفوا أنه لا يخدع، ومن يخادع (الله) فإن (الله) خادعه، وهو المخادع لنفسه يَخْدَعُ دون علم، إنه مخادع في الأمانة والعهد، والقول، فالمعنى المضمر هنا يحمل وراءه معاني أخرى، وهنا مضمير قولي جديد ينشأ مفاده أن المخادع لا يخلق مستقبلاً فهو لا يصنع إلا فساداً، وتفرقة بين أبناء المجتمع الواحد؛ فالمعطيات التي تولدها العبارات في الآيات القرآنية تصب في اتجاه أكثر اتساعاً في الناحية المتعلقة بالمعاني المستقاة، فهي تستهدف الطريقة التي يأمل النصّ القرآني إجراءها، والكشف عنها للمتلقي^(١).

وإضمار الشيء، وإظهار خلافه هو نوعٌ من المراوغة المذمومة، لذا نجد

(١) راجع: ك - أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، المغرب،

الخداع يصاحبه الكيد، والمكر، في أغلب حالاته، والمكرُ السيء لا يحقق، ولا يدمر إلا صاحبه، كما أخبر (الخالق) سبحانه في: "... ولا يَحِقُّ الْمَكْرُ السيءُ إلا بأهله.."^(١)، والخداع رغم كونه لا يأتي فجأة، وإنما بعد تدبير، وتفكير سقيم، فهو يأتي دونهما، ويكون مكشوفاً لكل ذي بصيرة، ولا ينطلي إلا على النبله، ويُدْمُ في كل الأحوال، ما عدا الحروب؛ فهو مطلوب بقوة^(٢)، وتضمير الآيات أيضاً إفساحاً قوياً عن خيبة السعي التي يسعى إليها المنافقون، والأعداء في صنعهم الحيل والجهد، فمآل ذلك كله الخسران، والسعي بلا فائدة، ومهما حاول المخادع إهلاك غيره، لا سيما المؤمنون، فلن يجدي خداعه نفعاً؛ ف(الله) سبحانه تكفل بنصرهم، وتكليل مساعيهم بالنجاح، ووعده بحفظهم.

وكلمة الخداع في موضعها القرآني تناسب المنافقين بقوة؛ فالمنافق لا يقر على حال، فهو لا يظهر إلا خلاف ما يبطن، وإن المنافق لا يبطن سوى المكروه، والإيذاء للآخرين، وهو صاحب نفسية مضطربة تعتمد التمويه والتخفي والتضليل منهجاً لها في الحياة، وما يلجأ لهذا إلا من يعاني اضطراباً نفسياً، إنه يحاول التحقيق لمنفعته الخاصة على حساب الآخرين بل وإيذائهم أيضاً، وهو يفعل ذلك لرؤيته الغريبة لمن حوله؛ فهو يراهم ضده دائماً، وكارهين له، وهذا لحبه لنفسه الكارهة، العدوانية، الحاقدة على غيره دون سبب جناه غيره^(٣)، ويظهر بين المدلول النفسي لمرض الخداع وحروف لفظه تناسب عجيب؛ فكلما تضيق نفس المخادع زرعاً بمن حوله ضاق صدره، وامتلأت

(١) سورة فاطر: ٤٣.

(٢) راجع: التحرير والتتوير، تحرير العقل السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، جزء ١، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ص ٢٧٤ بتصرف.

(٣) راجع: دلالات التعبير ودورها في التحليل النفسي لشخصية المنافق، صالح أمّل إسماعيل، الأردن، دار النفائس، ط ٢، ٢٠١١م، ص ١٦٥، و ١٦٦.

نفسه حقداً، وغيظاً عليه، وهكذا يفقد للراحة النفسية أساس الحياة السعيدة، وراحة البال، كذلك فحروف كلمة (خ.د.ع) تخرج من صدر المخادع كمدًا وضيقًا، فالعين تخرج بتضييق الحلق معبرة عن ضيق مخرج علاوة على ضيق القلب والنفس، فهنا تكامل بين الكلمة (خدع) وثقلها اللفظي تمامًا كالثقل في صدر المنافق والمخادع لغيره، فإيمانه المتذبذب يضيق عليه راحته؛ فما كان الإيمان الحق يومًا إلا موسعًا لأسارير النفس والقلب، فالضيق هنا تحقق لفظًا، ومعنىً.

المطلب الثامن: الخرص.

إن جذور هذا المرض المعنوي تعود لمادة (خرص) التي تعني كذب، فخرص يخرص ويخرصون: كذب، ورجل خراص: كذاب، ويخرصون: يكذبون^(١)، واصلاحًا هو: ما يحزر من الشيء يقال كم خرص نخلك أي كم يجئ من ثمرته، وإنما استعمل الخرص في موضع الكذب لأن الخرص يجري على غير تحقيق، فشبه بالكذب، واستعمل في موضعه^(٢)، فتعمد إخفاء الحقيقة ليس له ما يبرره إلا المرض الذي أصيب به صاحبه، ذلك المرض الذي ينتاب صاحبه فيجعله يضمّر الحقيقة، ويواربها ثرى الكذب والتضليل، وهذا يكون عبر ما ينسجه من قصص وأكاذيب؛ كي يضلل المستمع له، وهذا يبعد بالنفس عن الطريق الصحيح والمعتدل.

وذكر الخرص في (القرآن الكريم) ليدل على كذب الذين يعتقدون بعدم وجود (الله) تعالى، وينكرون وجوب اتباع دعوته، وطاعة رسله جميعًا، فهم لا ينادون بهذا، وإن هم إلا يكذبون على أنفسهم، وعلى الناس حولهم، ومن

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خرص)، ص ١١٣٣.

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية، علوي بن عبد القادر السقاف، وآخرون، موقع الدرر

السنية على الإنترنت dorar . net، جزء ٢، ٤٣٣هـ، ص ٨٦.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

مواضع ذلك قوله: "وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ"^(١)، وقوله: "قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ"^(٢)، وفي مواضع أخرى^(٣)، والخراصون: الكذابون الظانون غير الحق، والذين هم في لُجَّةٍ من الكفر والضلالة، غافلون، متمادون في الضلال، وسيجزون الخزي والعار وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، ومضمر القول ألا يلجأ المرء للكذب على (الله) سبحانه، ورسوله، وادعاء ما هو غير صحيح؛ فهذا هو المستحق لللعن (الله) سبحانه له، والذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل ليدحضوا به الحق، والذين يقولون على (الله) تعالى ما لا يعلمون، قاتلهم (الله) ولعنهم، ولهم عذاب أليم.

ومعاني الخرص في الآيات كلها قد اقتترنت بالإثم قبلها؛ لتوضح مضمرًا قولياً يؤكد إصابة النفس بهذا المرض نتيجة حملٍ كامن من الكذب؛ والظن السيء ب(الله) ورسوله، وأنه يصاحب المشركين، والضالين المكذبين، وأنهم جهلاء، مهما ادعوا العلم، ومعرفتهم به، وأيضًا من مضمرات القول الإبانة عن أن كل ما تعلقت به مشيئة (الله) تعالى، وإرادته فهو مشروع، ومرضى عنه؛ لأن الرسل (عليهم السلام جميعًا) يدعون الناس كافةً إلى التوحيد، لذا فلا صحة لقول المشركين، وغيرهم أن صرفهم عن معرفة (الله) والإيمان به هو أمر كتبه (الله) عليهم، ولا يد لهم في اختياره، وإنه لو كان هذا الشرك، وغيره من قبائحهم مرضيا عنده - سبحانه - لما أذاق أسلافهم - المكذبين - الذين قالوا لرسولهم مثل قولهم، عذابه ونقمته، وهذا الأمر، وغيره من هذه الادعاءات كذب؛ فإن (الله) أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة يتمكن بها من فعل ما كُفِّ به،

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

(٢) سورة الذاريات: ١٠.

(٣) جاء الخرص في القرآن في سور: الأنعام: ١١٦، ويونس: ٦٦، والزخرف: ٢٠.

فما أوجب (الله) على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر ظلمٌ محضٌ وعنادٌ صِرْفٌ، فنفسهم المريضة تسول لهم هذا، ومن يكذب أجدر به أن يراجع نفسه، ويبتعد عن هذا المرض المهلك.

ومن المضمرات القولية للآيات التأكيد عل أن الكذاب لا علم يستند إليه في حكمه إلا الهوى، والنفس المريضة بين جنبيه، وقد أكد (الله) هذا في قوله: ".... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَاثِلٍ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ...."، وإن مشيئة (الله) الشاملة لكل شيء من الخير والشر ليست حُجَّةً دامغةً في دفع اللوم عن المكذبين والمدعين لأمر خاطئة لا أساس لها من الصحة أو الحق، وهذه ازدواجية عليها الكاذب؛ فهو يكذب ما لا يتوافق مع هواه، ونفسه المريضة، وإن من أصيب بهذا المرض يجده مبررًا سائغًا لادعاء تزييف الحقائق، ومحاولة دفع التهمة والريبة عما يأتي به من أمور تسول له بها نفسه المريضة بداء الكذب.

وهناك مضمر قولي قوي أيضًا هنا، وهو ظلم الإنسان لنفسه بادعائه القدرية في كل أمر، وأن مرجع ذلك (الله) تعالى في كل الأحوال، وهو حق يراد به تبرير الباطل؛ فما للإنسان يدفع من يريد إيذاءه إذن؟! أليس هذا حسب نظرته الخاطئة، من القضاء والقدر؟! ف(الله) سبحانه له القدرة المطلقة، ولكنه لا يريد ظلمًا للعباد، وقد قال سبحانه: "..... وما ظَلَمَهُمُ اللهُ ولكن كانوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"^(١)، وهنا يظهر الدافع القوي الذي يحث المؤمن على توطيد العلاقة بينه وبين (الله) سبحانه، الذي خلقه، وألا يقع في شَرَكِ الهوى، والنفس الأمانة بالسوء، وما كان هذا الأمر من المضمرات ليصل إليه إلا عبر اغتنامه

(١) سورة النحل: ٣٣.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

لمستويين في الآيات الكريمات، ونعني فهمه لهما: الأول، وهو: المكون التركيبي للآيات وفق التفسير الظاهر، والمعاني فيه، والآخر: والذي هو يغوص في أعماق التركيب مفيداً من متضمناته القولية فيفسره لنا باعتماد التفسير الباطن، فمعرفة المتلقي للآيات تمكنه من تحليلها، وفهم ما وراءها من مقاصد، وقضايا ملحة^(١) يظهرها الفهم الواعي والثاقب لمختزل القول في الآيات، وما أضمر فيها عبر لغة الآيات الجزلة القوية الداعية للتفكير فيها، والتبصر الواعي لمفرداتها.

والغرض الداخلي لنفس المنافق يظهره كذبه؛ فمقاصده الظاهرة تعكس نواياه الباطنة، والحمل الخبيث لما أضمره من مراوغة، ونفاق، يصبح واضحاً عبر لغته الخالية من الثوابت التي تتفق مع العقل السليم، والنفس العاقلة السوية، فالسلوك السوي يظهر نفساً سوية صادقة، لا تكذب أو تراوغ، والصدق في القول تؤكد معطياتٍ ضمنيةً في الكلام المساق، فيأتي الكلام منسلاً بانسيابية تتفق والنفس الصحيحة، والكذب لا يجعل صاحبه متوافقاً مع داخله، وما سعي الكذاب لإفساد من حوله إلا لحقده، ولا توافقه الداخلي الذي يشعر به، وإن هذا ليطفو بقوة عبر ادعاءاته غير المنطقية لتبرير الأشياء التي يأتي بها، والأفعال التي يرتكبها، لا سيما تلك التي تحمل حماقات وسفهاً وحمقاً يكون واضحاً لكل ذي عقل، وصاحب نفس سوية.

المطلب التاسع: الذهول:

يرجع الذهول في أصوله اللغوية إلى ترك الشيء وتناسيه، فالذهول: تركك الشيء وتناسيه عن عمد أو أن يشغلك عنه شغلٌ أو غفلٌ عنه، والذهل:

(١) راجع: النظرية التداولية، أحمد فهمي صالح شاهين، الأردن، عالم الكتب الحديثة،

السُّؤُوطِيبِ النَّفْسِ عَنِ الْإِلْفِ^(١)، وَأَمَّا اصْطِلَاحًا فِي عِلْمِ النَّفْسِ فَهُوَ حَالَةُ ذَهْنِيَّةٍ وَقَنِيَّةٍ تَبْدُو فِي عَدَمِ التَّهَيُّؤِ لِلْمَلَابَسَاتِ الطَّارِئَةِ، فَتَبَدَّدَ الْفِكْرَ، وَلَا تَسْمَحُ بِتَرْكِيْزِهِ عَلَى مَوْضُوعٍ مُعَيَّنٍ، وَتَحْوُلِ دُونَ أَيِّ رَدِّ فِعْلٍ لِانْصِدَامِ الْإِنْسَانِ بِشَيْءٍ غَرِيبٍ عَلَيْهِ غَيْرِ مَنْطِقِيٍّ بِالنَّسْبِ لَهُ، مِمَّا يَسْبَبُ لَهُ الذَّهْوَلَ مِنْ غَرَابِهِ الْأَمْرِ^(٢)، وَهَكَذَا، فَالذَّهْوَلَ هُوَ حَادِثٌ أَمْرٌ جَلَّلٌ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَفْقِدُ التَّرْكِيزَ، وَالْفَهْمَ لَمَّا حَوْلَهُ.

وَفِي (الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) فَقَدْ جَاءَ الذَّهْوَلَ قَلِيلًا، وَكَانَ مُرْتَبَطًا بِالْغَفْلَةِ، وَالذَّعْرِ، وَالْإِنْسَانَ حِينَ يَخْرُجُ عَنِ الصَّوَابِ، وَيَضْحَى فَاقِدًا لِلتَّوْجِيهِ الْعَقْلِيِّ السَّلِيمِ لِهَوْلٍ مَا يَرَاهُ فَالْعَقْلُ هُنَا يَغِيْبُ أَثْرُهُ، وَلِذَا عَدَّ الذَّهْوَلَ مِنَ الْأَمْرَارِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَصَابُ بِعَدَمِ الْاسْتِقْرَارِ، وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْدِيدِ أَمْرِهِ، وَتَهْرَبُ مِنْهُ نَوَاصِي الْأَفْعَالِ وَالْأَمْرَارِ، فَهُوَ لَا يَقْبِدُ هُنَا بِعَقْلِ يُوْجِهُهُ، وَيَحْكُمُ تَصْرِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، إِنَّهُ فَاقِدٌ لِلْعَقْلِيَّةِ، وَلِذَا فَإِنَّ (الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) عَبَّرَ عَنِ هَذَا أَرْوَعَ تَمَثِيلٍ فِي قَوْلِهِ: "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ"^(٣)، فَالْمُضْمَرُ الْقَوْلِيُّ هُنَا يُؤَكِّدُ بِقُوَّةِ صَعُوبَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الظَّالِمِينَ، وَالْكَافِرِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، غَيْرَ يَسِيرٍ، وَلَا شَكَّ فِيهِ.

وَصَعُوبَةُ الْمَوْقِفِ هُنَا تَنْمُ عَنْ حَدِثٍ غَيْرِ مَعْتَادٍ، حَتَّى إِنَّهُ يَصْرَفُ الْإِنْسَانَ عَنِ فُلُذَاتِ أَكْبَادِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ (اللَّهُ) سُبْحَانَهُ: "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"^(٤)، إِنَّهُمْ قَرَّةٌ

(١) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (ذهل)، ص ١٥٢٣، و ١٥٢٤.

(٢) راجع: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٤٦٦.

(٣) سورة الحج: ٢.

(٤) سورة الفرقان: ٧٤.

الأعين والقلب، وما يتمناه المرء من خالقه، بعد رضاه عنه، فيوم (القيامة) يغفل الإنسان عنهم ويتركهم، والأم الحامل تضع حملها دون اكتماله؛ لما تجده من أحداث تجعلها تذهل ما عليه من حال، فالحال الجديد أصعب، وأشد قوةً، والأمر في سياق الاستعارة التمثيلية يظهر صعوبة هذا اليوم، وشدته، وتضمير الآية الكريمة مضمرات قولية، منها أن كل ذي علق نفيس سيذهل عن علقه، ليس لرغبة في هذا، أيًا كانت الأسباب بل لمرض أصابه، إنه الذهول، وتبعاته، فلن يترك الإنسان ماتمناه بإرادته، وإنما كان هذا رغبًا عنه، وهذا إن يحدث فإنما لخروج صاحبه عن الصحة والاعتدال في التصرف هنا؛ لهول ما يجده.

ومن المضمرات القولية أيضًا بيان عظم يوم (القيامة) وصعوبته، فالآية الكريمة أتت بعد قوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"^(١)، فالآية: "يوم ترونها..." هي متضمنة لسؤال مضمر تقديره: لماذا تذهل كل مرضعة عما أرضعت، فالإجابة لأن زلزلة الساعة شيء عظيم، أو إنها تفصيل بعد إجمال، زلزلة الساعة شيء عظيم؛ لأنه فيها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس فيها سكارى، وتلك أمور خرج صاحبها عن حد الصواب، والاعتدال؛ لهول ما رآه، وأخذ عقله، فأنحرفت عنده بوصلة التفكير، والتوجيه الصحيح، فإيا لهول ما سنرى يوم القيامة! وقد تقدم العامل في (يوم ترونها) على (تذهل) لبيان الاهتمام بالتوقيت (يوم) ورؤية الجميع له، وأصل الجملة هنا: تذهل كل مرضعة عما أرضعت يوم ترون زلزلة الساعة، ومن المضمرات أيضًا هنا أن الزلزلة جعلت أمرًا مرثيًا (يوم ترونها) رغم كونها تسمع ولا تُرى، ويجوز أن يكون المقصود يوم (القيامة) وأن الرؤية فيه هي رؤية ما يحدث من مرثيات متعددة، ومنها: الحشر،

(١) سورة الحج: ١.

والأهوال، والبعث من القبور، والأهوال الحادثة، فالآية الكريمة أضمرت أيضاً سبب الذهول عن الرضيع من أمه، وهو ليس نسياناً أو كرهاً أو تطلعاً لشيء آخر بل إن الرعب، والخوف قد بلغا أشدهما في هذا اليوم، وأيضاً فالرضيع قريبٌ لقلب أمه، ومع ذلك تتركه، لذا فالمضمر أن كل مرتبطين بشدة سينفصلان بسهولة آنذاك؛ نتيجة الذهول الذي يصيب النفس، ويجعلها تخرج عن الاعتدال والصواب المعروفين عنها.

ومن المضمر القولِي هنا أيضاً إفادة الآية للشمول؛ حيث سيُشمل الرعب والذهول الجميع دون استثناء، وإن كان المُعطى الظاهري يرشدُ إلى هذا بعد فهمه، فإن كانت الأم تذهل عن رضيعها، فما بال الباقي؟ ومتى ذهلت المرأة أو الأم عن أبنائها، فالخطب جَلَل، والسبب غريب، إنه الذهولُ الذي اعترى الجميع لهول الموقف، ونجد أيضاً الأم الحامل تضع حملها من هول ما تراه من أحداث وغرائب، فالحمل له ميقات، والولادة أيضاً، وحين يُوضَع الحمل دون إتمامه فهذا لرعب قد اعترى الحامل، وجعل موازين الأمور تتقلب، ولا تسير في طريقها المعهود والمعروف، ولا يغيب الرعب الذي وضحته بقية الآية: ".....ولكن عذابَ الله شديدٌ" فهو تأكيدٌ لهول الحساب والعذاب لمن ظلم غيره أو أشرك بربه (سبحانه)، فالحمل في قرار مكين، ولن يحين أجله إلا بوقت معلوم، فحين يحدث ما ينافي هذا فالأمر عظيم مخيف، وهنا دُكرَ لفظ الذهول دون النسيان للتدليل على شدة التشاغل بما يحدث من أهوال، وفزع يأخذان بالنفس، واللب، إلى غير المعقول، وليفطن القاريء لكل هذه المضمرات لا بد له من البحث عن الدلالات الغائبة أو الأشكال، والمظاهر التي يتمفصل بها المعنى في الآية الكريمة من خلال شبكة علاقات توالدية بين وحدات بالدلالة اللفظية لتنتقي في بؤرة مركزية تشحنها بكثافة دلالية كبيرة، ودرجة إيحائية كبيرة تتجمع عندها كُلُّ الدلالات، وهذا توفره الألفاظ المكونة للكتابة في

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

الآية الكريمة^(١)، فالذهول لم يكن حادثاً لأمر هين، ولذا فنتائج ليست سهلة،
إن النفس لتمرّض بسببه.

المطلب العاشر: السُّحْتُ:

والسحت تعود أصوله إلى الفعل (سحت) والسُّحْتُ: كل حرام، وقبيح
الذكر، وقيل هو ما خبث من المكاسب وحَرَمَ، والسُّحْتُ: العذاب، ويسحت:
يستأصل، والسحت: لا شيء وأيضاً فأكالون السحت: تعني أن الرُّشَى التي
يأكلونها يُعَقِّبُهُمُ اللهُ بها أن يسحتهم بعذاب، والسحت: الحرام^(٢)، وفي
الاصطلاح، فالسحت هو: كل حرامٍ قبيح الذكر يلزم منه العار كثمن الكلب،
والخنزير، فهو سحت، والسحت: مبالغة في وصف الحرام، يقال هو حرام
لا سحت، وهو أيضاً الحرام الظاهر^(٣)، وهكذا فالمعنيان يتفقان في خروج النفس
عن حين الاعتدال حين تصاب بهذا المرض، فيجعلها لا تأتي بخير، فتبعد
صاحبها عن الصواب والاعتدال لأنه مَرِضٌ معنوياً.

وفي (القرآن الكريم) جاء السحت في مواضع منها في قوله: "سَمَّاعُونَ
لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ..."^(٤)،
وأيضاً في قوله: "قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ"^(٥)، وجاء في مواضع أخرى^(٦)، وكلها بينت عاقبة السحت،
وأنه مرض لا بد للمرء أن يبتعد عنه؛ حتى لا يهلك نفسه بهذا المرض الخبيث،

(١) راجع: بؤر الإضمار والاستغراب في شعر أبي الطيب المتنبي، محمودي بشير، دراسة

في البنية والدلالة، تونس، جامعة ابن خلدون، ٢٠١٤م، ص ٤٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (سحت)، ص ١٩٤٩.

(٣) انظر: الكلبيات، أبو البقاء الكفوي، ص ٤٩٤.

(٤) سورة المائدة: ٤٢.

(٥) سورة طه: ٦١.

(٦) ورد السحت في سورة: المائدة: ٦٢، و ٦٣.

إنه أكل المرء ما ليس حقاً له، إنه اعتداء على حقوق الغير، وهذا ما لا يصح أن يأتي به الإنسان العاقل، صاحب النفس السليمة، والقلب النقي.

ونرى من مضمرة الآيات ما ينص على الخيبة والخسران لكل من قال على الله -تبارك وتعالى- قولاً باطلاً، لا حقيقة له، وحاشا (الله) أن يأتي بباطلٍ، وأن من يفعل ذلك يستحق العذاب الأليم، والهلاك الأكيد، وأيضاً نجد مضمراً يؤكد أن المبطلين المفترين الخاسرين يجب الحذر منهم، وتحت على ألا يسير الناس في ركابهم، ويجب ألا يطاعوا؛ فإنهم لن يورثوا أقرانهم إلا الهلاك المبين، وهذا نجده في مضمون الآية: "..... لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۗ....." فالجزاء من جنس العمل، وأيضاً نجد الإثم قد اقترن بالسحت فكلاهما مرض يصيب الإنسان فيبعده عن الصواب، والصحة لفعل الأمور، ومن مضمرة القول ما يظهر في قوله: "وَلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۗ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (١) فهنا نجد النص على البعد عن اقتراف الآثام، وأيضاً البعد عن أكل المال الحرام، ومن يفعل هذا فإنما يتشبه باليهود الذين من دأبهم المسارعة إلى هذا الجرم الخبيث، وأن العلماء لا بد أن ينهوا الناس، ويعلمونهم أن هذا حرامٌ، بل وكل ما دار في فلك السحت من الرشأ، والأخذ للمال دون موافقة صاحبه هو كذلك، وكل هذا يكون سبباً لغضب (الله) على صاحبه.

إن الآية تؤكد أن الإثم، وأكل السحت هما جماع الرذائل، إذ إن القول الباطل الكاذب إذا ما تعود عليه الإنسان هانت عليه الفضائل، وقال في الناس ما ليس فيهم دون تخرج أو حياء، وأكل السحت يقتل في نفس الإنسان المروءة، والشرف، ويجعله لا يعطي بالاً لحقوق الناس، وأموالهم، وهذا خروج بالنفس عن

(١) سورة المائدة: ٦٣.

الاعتدال والصحة النفسية لها، لذا فأكل السحت مريض بداء عضالٍ، ويجب عليه أن يُعالج نفسه، ويبتعد عنه تمامًا.

ومن المضمرات المختزلة في قوله: " سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلْسُّخْتِ ۗ....." (١) أنه من كان كثير السماع للكذب، وكثير الأكل للمال الحرام بجميع صورته، وألوانه، فلا ينتظر منه أحدٌ خيرا، ولا يؤمل فيه رشداً، إنه محب حباً جمًّا لما يباه الدين، والخلق الكريم، وأيضا في: " وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي آلِئْتِمٍ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ" (٢) نرى مضمرًا قولياً يفيد بأن العديد من المرضى، ومنهم اليهود خاصة، يسارعون في ارتكاب الآثام، وفي التعدي، والظلم، وأكل المال الحرام دون ترددٍ أو تريث، إنهم قد عدمو الحياء وقد نضبت مياهه من وجوههم، وتخسبت أجسادهم، وقلوبهم؛ إنهم يرتكبون هذه المنكرات دون وجل بل يأتونها مجاهرة وعلائية، وقد أكدت الآية الكريمة مسارعتهم في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت للإشارة إلى أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات وكأنهم محقون فيها، لا يردعهم شيء من إيمان أو خلق أو حتى ذوق، إنهم مرضى قد أعيا مرضهم هذا المجتمع فلا يجدون لهم دواءً؛ كونهم لا يؤمنون بأهمية الدواء، وضرورة الابتعاد عن هذا الأمر، ارتكاب الإثم وأكل السحت، ولا يخفى ما تولده صيغة المبالغة (أكالون - سماعون) وصيغة المضارع (يسارعون) للإشارة إلى أن هذا العمل القبيح كان منهم في الماضي، وأنهم قد استمروا عليه في حاضرهم ومستقبلهم دون توبة أو ندم، إنها صفة تلازمهم، إنهم مرضى لا يريدون أو يحاولون شفاءً من مرضهم هذا.

(١) سورة المائدة: ٤٢.

(٢) المائدة: ٦٢.

ومما سبق يتأكد أن السحت لا يصدر إلا عن نفس غير سوية، لا تجد غضاضة في أكل الحرام، وارتكاب الإثم والإتيان بالكذب، وهذا مرض يصيب صاحبه، ومضمر الآيات جاء من معطيات المصرح به في الآيات، فجعل السحت شيئاً مأكولاً؛ كونهم يأخذون مالاً لا يحق لهم، فالمضمر يبرز هنا التمكن، والإرادة المسبقة لأكل السحت، وتسير ألفاظ الآيات في ركاب الوضوح للصفات الذميمة من إثم، وكذب، وظلم، وما السحت إلا اعتداء على أموال الغير بطريقة تبدو للمعتدي أنها لا غبار عليها، ولا اعوجاج فيها، وقد صاحب أكل السحت الإثم والعدوان، ولذا جاءت النتيجة (لبئس ما كانوا يصنعون، وما كانوا يعملون)، فالسحت يورد الهلاك، والخسران، والنفور للناس من صاحبه، وهذه المضمرات، وغيرها، مما اختزلته الآيات في جوفها، لن تُقهم مقاصدها، ولن يفظن المتلقي إليها إلا بعد الوقوف على معانيها، وهذا لا يبني في النص القرآني من شيء واحد، كأسباب النزول أو المناسبة للآية فقط، إنما هي صورة تخاطب القاريء للقرآن، وتحثه على أن تكون لديه تجارب مسبقة عن شخصية الحدث القرآني المذكور، أي أنها تمس بيئته، ومجتمعه، وهو يرى الآثمين، وآكلي السحت، ويتعامل معهم أحياناً، فهو (السحت) هنا صورة من واقعه الحياتي، يا حبذا ألا يكون فيه.

ويقترن الفعل بالقول في الآيات الكريمة (يقولون إثمًا - يأكلون السحت) ليضمّر تحذيرًا من القول أو الفعل لما يضر بصاحبه، ففي الحالتين قد أضر بها (نفسه)، وبمن حوله، لذلك سيقع تحت طائلة العذاب، والآيات تحوي العلاج من هذا المرض المعنوي، إن العلاج هنا قول الحق، وعدم الكذب أو العدوان على الغير، والعمل على أكل الحلال من الطعام، والشراب، والمال، إنها هنا دعوة مضمرة لإصلاح المجتمع، لا سيما أن الرُشى والربا، والكذب قد أصبحت أمورًا شاعت كثيرًا بصورة ملفتة، وهي وسائل تهدم المجتمعات، وتقوض تقدمها ورخاءها، فالنص القرآني إذن يبين العناية بالمعنى المقصود، ويذكر ما يظهره

بقوة، وأن ما ذُكر إنما هو معنى مركزي تنتشعب عنه شعبٌ من المعاني الجزئية التي ترتبط به، ويكون هو كالمغناطيس يجذبها كلها إليه، وحسب الموضوع المذكور فيه المعنى يكون المضمّر منه، ويظهر من خلال سياقات الكلام، وفهم مراد الآيات^(١)، وهكذا فمضمرات الآيات القولية كلها تدعو للتخلص من هذا المرض (السحت) الذي لا يؤدي إلى خير أبدًا.

المطلب الحادي عشر: السحر:

يعد السحر مرضًا معنويًا يصيب النفس فيخرج بها عن الصحة، والاعتدال؛ إنه لا يورث إلا الإيذاء للآخرين والسعي في الوقيعة بين الناس، ولذا فهو مذموم في القرآن، وتعود أصول (السحر) لغويًا إلى الجذر (سحر) الذي هو عمل تُقَرَّبَ فيه للشيطان، وبمعونة منه، والسحر: الأخذة، وكل ما لَطُفَ مأخذُهُ ودَقَّ فهو سحرٌ، والسحر: البيان، وأصل السحر: صرف اليء عن حقيقته إلى غيره، والسحر: الخداع، والسحر: الفساد، والسحر: آخر الليل^(٢)، وفي الاصطلاح، فالسحر هو: مزاولة النفوس الخبيثة لأحوال، وأفعال، تترتب عليها أمورٌ خارقةٌ للعادة، ولا يتعذر معارضته، ويطلق على ما يفعله صاحب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار ما فيه الصرف للشيء عن جهته حقيقة لغوية، ومنه السحر الكلامي^(٣)، ويرى البعض أن السحر هو إخراج الباطل في صورة الحق، وهو المعنى المقصود منه الخداع^(٤)، وهذا أمر غريب؛ إنه لأمر مريب؛ فهو يخرج صاحبه عن الاعتدال،

(١) راجع: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية فب الدرس العربي القديم، خليفة بو

جادي، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩، ص١١٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (سحر)، ص١٩٩٣، و١٩٩٤.

(٣) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٥١٠.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، جزء٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ص١٣٨.

بآيات بينات بل بسحر يغيب عقول الناس، تعالى (الله) عن هذا، وأن السحرة كانوا وسيلة التأثير من الملوك، والحكام الفاسدين، للتأثير على جموع شعبهم، وصرف الشعوب عن الطريق الصحيح السليم، والهدى الذي أتى به الأنبياء من عند (الله) لإقامة حياة الناس الصحيحة، وإرشادهم إلى فضائل الأمور، وعلى رأسها عبادة (الله) سبحانه، واتباع أنبيائه، وما أتوا به من شرائع تقيم أسلوب حياتهم، وتجعله أفضل، ومنهج لا بد من السير عليه للفوز بالحياتين: الدنيا والآخرة، وأيضًا فالسحر عند المشركين هو ردة فعل تجاه من يدعوهم لعبادة (الله)؛ حيث يصفون ما يأتي به أنبياؤهم من بينات وشرائع بأنه سحر، وليس أمرًا من عند (الله) وهذه مكابرة منهم وعنادٌ، ورغبة في اختلاق أعذار واهية، وأسباب غير منطقية لكفرهم.

ومن مضمرات الآيات القولية في سياق الحديث عن مرض (السحر) أننا نجد تأكيدًا على وجود السحر منذ قديم الأزل، وأن السحر استعمله السحرة كمهنة لهم في الدعوة للباطل، ودعمه دائمًا، ومجادلة الحق الذي أتى به الأنبياء، والذي دعت إليه الشرائع المختلفة، وأن السحر أيضًا صفة لمن أتى بأشياء تتعارض مع قوانين العقل أو الطبيعة والمنطق، لذا فالمعاندون للرسول، ورسالاتهم التي بعثهم بها (الله) تعالى، دائمًا ما يصفون الأنبياء بهذه الصفة (السحر) ظلمًا، وبهتانًا، فإنهم لم يجيبوا بالحق، والكتاب المبين ليضلوا الناس، بل ليخرجونهم من الظلمات إلى النور، ولذا كان الهجوم الضاري على الأنبياء (عليهم جميعًا الصلاة والسلام) والصالحين أيضًا، وما كان هذا من السحرة إلا بعد تخلي الإنسان بعض الشيء عن إيمانه بالسحر والشعوذة، وتحوله بوجهه نحو الخالق (سبحانه) يطلب منه العون، والمدد على حل المشكلات،

والصعاب، والاتجاء إليه سبحانه؛ طلباً للاطمئنان من المخاوف^(١)، وما كان هذا الاتجاه (لله) ليرضي هؤلاء الحاقدين لذا كان هجومهم واستهزائهم بالأنبياء. والأنبياء كان لهم النصيب الأوفر من هذا الاتهام الباطل، والبهتان المقيت، الاتهام بممارسة السحر، وكان من بينهم (عليهم جميعاً الصلاة والسلام) النبي (موسى) عليه الصلاة والسلام، كما يُظهر قوله: " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ"^(٢)، والنبي (عيسى) عليه السلام، في قوله: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ"^(٣)، والنبي (محمد) عليه الصلاة والسلام، كما في قوله: " فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ"^(٤)، وهذا هو طبع المعاندين (لله) ورُسله، وديدنُهُم، في كل الأوقات.

وتؤكد مضمرات الآيات أيضاً على أن الشخص المسحور لا يرى الحق بل يلتبس عليه الباطل في صورة الحق؛ فهو يخضع لإيحاء نفسي يمارسه الساحر عليه، وهذا سبب تغييب عقله، وخضوعه لسلطة اللا موجود فيضحي مفزوعاً مما يرى، وهو لا يرى الأمر على حقيقته، لذا اتهم الكافرون والمشركون الأنبياء بهذا الأمر، إن السحرة يجعلون من أتباعهم أشخاصاً مغيبين، لا يرون الأمور على صوابها، ولا على حقيقتها الفعلية، وما يقنع به السحرة الناس إنما هو محض خيالات، وسراب لا أصل له في الحقيقة.

(١) انظر: السحر والسحرة من منظور القرآن والسنة، إبراهيم كمال أدهم، بيروت، دار الندوة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٩.

(٣) سورة الصف: ٦.

(٤) سورة المدثر: ٢٤.

ومن مضمرات الآيات نجد التأكيد على أن الشياطين عرفوا السحر فعملوا به، وعلومه للناس ليستعملوه في الشرور، وارتكاب الآثام، بينما المؤمنون عرفوه، واستفادوا من الاطلاع عليه فتجنبوه، والشياطين اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم في أبدانهم، وعقولهم، وأموالهم؛ لجهل هؤلاء، وقلة إيمانهم (بالله) فلا بد للمرء أن يثق بربه ثقةً أنبيائه به، وليعلم أنه ما من حقٍ إلا وله تأييدٌ من (الله) تعالى، فلا باطلٌ يهزمه الباطل، فالباطل مهما علا فسوف يدمغه الحقُّ، وعندئذٍ تكون زلزله في نفوس الناس أوقع، إن السحرة قد يسحرون بالباطل الذي يأتون به العيون، ويستترهبون القلوب، حتى إذا واجه باطلهم الحقُّ الواثق انطفأ كشعلة الهشيم، وإذا الحقُّ راجحٌ ظاهرٌ للعيان، إنهم يأسرون وجدان الناس قسرًا، ويسوقونهم سوقًا بوسائل مصطنعة مفتعلة لا تستند إلى واقع سليم، فهم لا يفلقون، وأيضًا فإن المؤمن الحق لا يردُّ قولًا صادرًا من عند ربه تبارك وتعالى؟! أما لو عظّم ذلك المرء ربه لعظّم ما جاء منه، ولأمن به، وإن أقوال المبطلين، ومنهم السحرة، لا تستند إلى دليل متين حتى يؤكدها أصحابها، وكأنها يقين، وأيضًا فإنه عندما تقسو القلوب، وتفسق النفوس تتحول الحقائق في زعمها إلى أكاذيب وأباطيل؛ إنها ترى الحق الذي لا باطل معه سحرًا واضحًا.

ومن المضمرات القولية المختزلة هنا في مرض السحر إيضاح الآيات لخطورة السحر على الإنسان؛ إنه آلة هدمٍ يستعملها الساحر لإقناع الذي أمامه بأمر فاسد، وإلا لما استعمل السحر لإثباتها، فيضحى المسحور مريضًا لا يقدر على التماس الطريق الصحيح، لذلك فالقوة، والصحة النفسية عنده ضعيفة أمام هذا السحر، والآيات كلها تبين لجوء الكافرين، والمشركين لهذا الأمر الذميمة؛ كونهم غير أسوياء نفسيًا لتفسير ما يجدونه أو للتأثير على غيرهم لينبعوا منهجهم، وطريقهم، فالسلطة المضمرة للنص القرآني هنا تُظهر أمورًا مغلقة لجزالة الآيات، وإيحاءاتها القوية، ومناسبة أغراضها ثم فهمها وإدراك

القضية التي تحتويها، وتنبه إليها، فتبرق صورة الساحر هنا، وخطورة ما يفعله، فالمعنى هذا يبلغ شأواً عظيماً يسلم معه المتلقي، ويبصر بقوة ما توحى به الآيات^(١)، فيتأكد له ضراوة هذا المرض، ويؤس ما يفعله بأصحابه.

ومن المضمرة المختزلة أيضاً ما يعطيه قوله: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ"^(٢) من التأكيد على كيفية استعمال السحرة لحيلهم في محاولة إطفاء نور الحق، وإخماد كلمته، وظهور كذب السحرة، وافتراءهم، وأنهم يستميلون الناس بسحرهم فيما يعتقدون، فيكون ذلك سببا لظهورهم على الجهلاء والمغيبين، وإن كانت ملّة الكفر واحدة، فإن دعوات أهل الحقّ سواء؛ يوافق الخلف منهم السلف، ويصدق بعضهم بعضاً، وقد خصّ (الله) سبحانه خاتم أنبيائه بخصائص لم يؤتتها أحداً من خلقه، فاستحقّ أن يكون محمّداً اسماً، ومعنى؛ إذ هو أحمدُ الأخلاق، والفعال، محمودُ السمائل، والخلال، وإن سنّة المعاندين للحقّ واحدة في تكذيب الأنبياء، ووصم المصلحين، وعلى الدعاة الاستعداد لكلّ تكذيب، والصبر على عقبات الطريق.

ومضمرة قولية نجدها أيضاً تميّط اللثام عن السحرة، وتؤكد خروج نفوسهم المريضة بأعمالها عن الصحة والمعقول؛ إنهم لحقدهم يفرقون بين العرى القوية، ويحاولون بسحرهم فك عراها، إنهم يفرقون بين المرء وزوجه، والتي هي السكن، والمودة له، إنهم لا يرون الصواب حين يخرجون عن حد الإنسانية عامة، وهكذا يزينون للضعفاء والجهلاء أعمال الفساد، ولا يكتفون

(١) راجع: بلاغة الإيجاز، ضمن كتاب في بلاغة الأشكال الوجيز، محمد مشبال، عمان،

الأردن، دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠٢٠م، ص٣٢، و٣٣.

(٢) سورة الصف: ٦.

بذلك بل يجعلون منهم تابعين لهم، مأمورين بأوامرهم، إنهم لا خيار لهم سوى اتباع السحرة، ولذا نجد الاعتماد على السحرة قديماً في دحض رسائل الأنبياء، لا سيما مع النبي (موسى) عليه السلام، حيث كان السحر منهجاً للحياة آنذاك، فقد كان السحر حقيقة حية في القدم، وكان وسيلةً عمليةً تقود الإنسان إلى النجاح في المهمات، والملمات الصعبة، والحرجة^(١)، وبها كان التأثير بغير أحدٍ معينٍ، إنما الاعتماد فيه على الشياطين عبر ترانيم، واقتران كلمات يتوصل بها للعوالم الخفية تلك^(٢) فيحضر منها ما يراه مناسباً ليوهم العوام والجهلاء بما يريد به السيطرة عليهم، وتوجيههم إليه.

ويظهر الخطابُ المختزل المضمر في الآيات كيف هي العلاقة بين السحر والمجتمعات، فهو لا ينتشر بقوة إلا في مجتمعات مضطربة أو خائفة أو مقهورة؛ كونه يعمل على التسلل إلى ضعاف النفوس، وجهلائهم، ويجعلهم يسلمون لأفعالهم، وأقوالهم، فيُنظَرُ إلى السحرة نظرة المُخلص، وصاحب الحلول لما استعصى على المرء، والأمر معكوس إذا ما كانت المجتمعات آمنة، ومستقرة، وهذا الأمر يفتن إليه المتلقي بفضل ما تقرره الآيات، وتقرزه من منطوقات خفية تطل بوجهها من خلال الفهم الجيد للآيات، وما تحمله، وهذا يكون على سبيل الاستتباع، والالتزام بأن يكون اللفظ دالاً بالمطابقة على معنى، ويكون ذلك المعنى يلزمه معنى غيره كالرفيق الخارجي لا كالجزم منه، بل هو مصاحب له، فالمعنى المتضمن في القول هو جزء وضرورة من المعنى الذي يدل عليه اللفظ المتلفظ به^(٣)، ولذا فالمضمرات القولية دائماً لصيقة

(١) انظر: السحر والسحرة من منظور القرآن والسنة، إبراهيم كمال أدهم، ص ٢٨.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين، جزء ١، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار العلوم، د.ت، د.ط، ص ٢٩.

(٣) راجع: الإشارات والتببيهاات في علم البلاغة، جزء ١، محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، ص ١٣٩.

بالمعنى الظاهري للآيات بلا شك.

والآيات تؤكد أن هذا الساحر المريض ينشر المرض فيمن حوله، إنه كالجرب المعدي الذي يعمد صاحبه إلى عدم المكوث بمكان ما؛ كي ينشر مرضه في أكبر عدد ممن حوله؛ حقداً عليهم، وينتهز المناسبات لنشر هذا الأمر متعمداً؛ ليوثر على الناس بقوة، وتكون هناك فئات كثيرة أمامه، فالجانب المضر في الآيات يقتضي أموراً أخرى غير ظاهرة، ولكنها تقبع خلف ثوب الآيات الأنيق، ويبصر المتلقي عبر هذه المضمرات ما كانت عليه المجتمعات التي يشيع بها السحر، وينتشر، فكأن الآيات تخاطب المتلقي، وتحثه على الوصول لتلك النتائج القوية بل تشركه في رؤية عدم مشروعية هذا الفعل الذميمة، وهذا الأمر تُرك التصريح به ليكون أكثر تأثيراً حال الوصو إليه بعد بحث وعناء، وليبصر معها المتلقي بلاغة الآيات، وقوتها في نشر المضمرات القولية التي تكتنفها. وكلمات الآيات تحمل داخلها تأثيراً تواصلياً مع المتلقي في الإيحاء له بقضايا مهمة، دون تحديد لمدلولاتها بصراحة وظهور، بل توصل المتلقي للقصد الذي يراد منها، وتؤثر فيه بقوة هنا، فالآيات تُظهر أن ما يفعله السحرة ما هو إلا حيلة، ووهم، ويسير المسحورون به دون إرادة منهم بل بتوجيه، وتأثير خارجيين.

ومن المضمرات أيضاً التي تكتنفها الآيات هو التذليل والتأكيد على كذب ادعاءات السحرة فيما افتروه من كذب على أنبيائهم جميعاً (عليهم الصلاة والسلام) فما هم بسحرة، وما هم بشعراء أو مجانين، وقد بين (القرآن الكريم) ذلك في قصة (موسى)، و(سليمان) عليهما السلام، وما كان النبي (محمد) عليه الصلاة والسلام، ساحراً ولا مجنوناً، وما أتى الأنبياء جميعاً بسحر أو غيره ليتبعهم الناس، وقد أتى كثيرٌ غيرهم به ليتبعهم الناس، وإنما كان السحرة يحولون رؤية العين الحقيقية إلى رؤية ما يريده الساحر نفسه، ويظل أصل الشيء وجوهه ثابتاً عنده (الساحر) وأن الساحر لا يشجع إلا على الكفر

والفسوق والعصيان، وما هكذا كان الأنبياء.

وأيضًا من المضمرات القولية المختزلة في الآيات نجد العلاقة بين الدين والسحر منذ قديم الأزل، وأن من يتعامل مع السحر فتعامله لا يأتي لسبب إلا لخبث نفسه، ونزوعها، ورضوخها لنزواتها الفاسدة، ومن يلجأ للسحر فيكون هذا لأسباب عديدة منها: إرادة فرض الرؤية الساحر على الآخرين، وإيذائهم لخبث نفسه، ومرضها العنصري، وإرادة نشر الفساد بين الناس، والرغبة في اختلاق المشكلات المجتمعية، وليأسه من الحياة التي بها قربٌ من (الله) سبحانه، ولا يغيب الحسد الدفين بالساحر لغيره، ولا يُنكِرُ الخبث للنوايا عند السحرة، وإن تغلفت بالجمال من الخارج، والسحر نتيجة للبعد عن المنهج الرباني، وطغيان الثقافة المادية، وما هذا إلا لضعف النفس، وكونها أمانة بالسوء، إلا من رحم (الله) سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني عشر: السرقة:

يعد مرض السرقة مرضًا معنويًا له أسبابه التي لا تتكرّر، وتعود جذوره اللغوية إلى مادة (سرق) التي تعني: خفي، وسُرقت مفاصله، وانسقرت تعني ضعفت، والسارق عند العرب هو مَنْ جاء مستترًا إلى حَرَزٍ فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلبٌ ومنتهب، فإن منع مما في يديه فهو غاصب^(١)، وقد جعل البعض السرقة صفة خاصة بالمال فقط، فقد قال صاحب المعجم الوسيط: سرق منه مالاً وسرقه مالاً، وسرقةً: أخذ ماله خُفِيَةً، فهو سارق^(٢)، وأشار القرطبي في تفسيره لأصل هذا اللفظ، وجعله من أخذ

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (سرق)، ص ١٩٩٨، و ١٩٩٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط ٤، ٢٠٠٤م، مادة (سرق)، ص ٤٢٧.

الشيء خفية في خفية من العين^(١)، وأما اصطلاحاً فيراه (الكفوي) أنه أخذ مال الغير من حرز أجنبي لا شبهة فيه خفية، وهو قاصد للحفاظ، في نومه أو غيبته^(٢)، وهكذا فالتعريفان متفقان على أن السرقة هي الأخذ للشيء دون علم صاحبه لأسباب يراها السارق منطقية له؛ وهذا خطأ واضح، ومرض معنوي أصيبت به نفسه المريضة.

وقد حفلت آيات (القرآن الكريم) بهذا المرض المعنوي، وورد في آيات ليفيد أموراً بعينها، وينص عليها للإنسان؛ كي يعي ما يفعله من مخالفة (الله) سبحانه إذا ما سرق، وارتكابه لجُرم خبيث بهذا الفعل، ومن مواضع الذكر للسرقة ما نجده في قوله: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"^(٣)، وفي قوله: "قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ"^(٤)، ومواضع أخرى^(٥) أيضاً، وقد جاءت كلها لتنص على أن السرقة إنما يفعلها صاحبها لغرض دفين في نفسه المريضة غير القابلة للصلاح، فليحذر هذا الفعل الذميم، وليقلع عنه.

ومن المضمورات القولية لآيات السرقة ما نجده من دعوة للتمسك بصيانة الأموال، والأعراض، ونهي واضح للآيات عن الخيانة في الأموال، والممتلكات،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، جزء ٧، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي،

بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٤٦١

(٢) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٥١٤.

(٣) سوره المائدة: ٣٨.

(٤) سورة يوسف: ٧٧.

(٥) ورد مرض السرقة في القرآن الكريم في سور: يوسف: ٧٠، و٧٣، و٧٧، و٨١، وسورة

الممتحنة: ١٢.

وكل ما يملكه الناس من أمور خاصة بهم، والنهي عن النقصان في العبادة، وذلك في قوله: "يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِحَنَّ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللهُ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(١)، فإن مضمر الآية يؤكد أن السرقة فاحشة خطيرة تضر بالمجتمع، لذا فهي في مرتبة خطيرة مع الزنا، والسحر، والشرك بـ(الله) تعالى، فهي آفة لا بد من الابتعاد عنها، وقد أمر (الله) بقطع يد السارق والسارقة، وفي ذلك صون للأموال، والحقوق الخاصة بالناس، وألا يطغى أحدٌ على مال الآخرين اعتزازاً بمنصبه أو مكانته الاجتماعية أو عائلته أو غير ذلك مما اعتاد الناس على التمييز به عن الغير خطأً.

ومن المضمرات القولية في قوله: "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَبْرِيُّ إِنَّكُمْ لَسُرِقُونَ"^(٢)، فهي تفيدنا بأن الابتلاءات أحياناً تكون للامتحان، وأن الاتهامات التي توجه للمرء، وهو بريء منها، إنما تكون لامتحانه، واختبار قدرته على فعل أمور ما، فهنا اتهام النبي (يوسف) عليه السلام لإخوته بالسرقة، وهو إنما كان بوحى من (الله) تبارك وتعالى - لما علم - سبحانه - في ذلك من الصلاح، ولما أراد من امتحانهم بذلك، وتؤكد الآيات أنه ليس كل ضرر يعقبه ضررٌ، فأحياناً يعقبه الجزاء الأفي، لا سيما عند براءة صاحبه، وأيضاً في قوله: "ارْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ"^(٣) فإن المضمرات القولية تؤكد أن السارق يُؤخذُ بسرقة، وليس غيره، وأن الشهادة على السرقة تكون عن

(١) سورة الممتحنة: ١٢.

(٢) سورة يوسف: ٧٠.

(٣) سورة يوسف: ٨١.

وعى، ورؤية لهذه السرقة، وفي ذلك إظهار لاهتمام الشرع الحنيف بصون الحقوق، وألا يؤخذ أحدٌ بجريرة غيره، وهو بريء منها، وكذلك أهمية الشهادة الحقة التي تكون عن بيّنة، وتأكيد.

والآيات تضرر قولاً مفاده أن العقاب يكون على قدر الذنب، وفي هذا الأمر تحقيقٌ للعدل؛ فأخذُ الأموال دون وجه حق هو من السعي في الفساد في الأرض، وإن كان من غير حرابة، وأن الأموال مهياًة لانتفاع بها للخلق أجمعين، فلا بد من الصون لها، فما جاء الشرع الحنيف إلا لإقامة حياة كريمة للإنسان، لذا فالشرع إنما أقام الحدود؛ حماية للجماعات، ونشرًا للزجر الرادع في هذه الجريمة النكراء؛ ليقطع دابر الشر والفساد، ولدرء النفوس الضعيفة، والمريضة بداء السرقة من الانزلاق وراء شهواتها المدمرة، ومنها المال، فالتبوع أن النفوس اللاهية تلهث وراء شهواتها بعيداً عن الالتزام بالواجبات والنواهي والأوامر الإلهية^(١)، ففهم مضمرة الآيات يجعلنا نتيقن من أن السرقة لا بد أن تعود على السارق بالوبال، فقط لا غير، وأن الجرم لا بد من ان ينكشف يوماً ما، وأيضاً فالسرقة لا بد أن يُتَبَّت من ارتكاب السارق لها بشخصه هو قبل اتهامه، وقد تعاونت الآيات في سورة (يوسف) عليه السلام لتصف موقفاً، وما ترتب عليه، ولأن الفهم ينبع من الاختلاف لأجل ذلك يجب أن تتقاطع زوايا نظر متعددة لتكشف عن جوانب الموضوع المتنوعة، ولذا ينظر للأمر من خلال هوامشه الخارجية وهي جوانب خفية، لا يتوصل لها إلا بالفهم الواعي لجميع النواحي المحيطة بالجانب، ولا بد أن نفهم تأذرها لأجل الوصول إلى الجانب المركزي (المركز) لها، فكل آية هنا تتعاضد مع الأخرى لرسم حالة من

(١) راجع: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، جزء ١، عبد القادر عودة، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م، ص ٦٩.

الوصف الجيد للشارق، فهو يأخذ ما ليس حقه، لذا كان حرياً أن يوسم بالوصف (سارق)، وأن يتهم بالسرقة لقيامه بها^(١).

وحين النظر بدقة لمضمر الآيات القولية نجد إشارة لعدم تحديد نوع السرقة في الآيات، أو مجيء حكم معها أو دعوة لشيء ما، ووصف هذا الشيء في صورة كلية، ممتلكات كان أم مالاً أم مقتنيات معينة للمجتمع، أو لنقل بصورة أكثر وضوحاً لم يحدد أهى سرقة كبرى أم صغيرة كانت؟ وذلك لأن كل الأمور تخلق فساداً في المجتمعات، فمهما كان قدر الشيء المسروق هيئاً، ومهما كان وضع السارق، فهذا فسادٌ، وهذا يعد من الأمراض التي يجب استئصالها من المجتمعات؛ لذا فالشرع الحنيف حرص على حماية الأخلاق، وتشدد فيها، فيعاقب على كل الأفعال التي تمس هذه الأخلاق، مهما كان وضعها، وقدرها^(٢)، ففساد الأخلاق يفسد الأفراد، وبالتالي المجتمعات، والجماعات الإنسانية عامة، وفي كل العصور، لا عصرٍ بعينه.

والآيات تضرر بين ثنايا كلماتها تناغمًا بين المعطى النفسي والمسكوت عنه، وما أفصح عنه بمفردات يحذر الإنسان من هذا الفعل الذميمة، وفي سورة (المتحنة) مثلاً، فإن السرقة وضحت كراهة النقصان في العبادة، وأن هذا الفعل خيانةٌ للأمانة التي حملها الإنسان، وإن بدا للبعض هيئاً، وهي طاعة (الله) وحده، والامتثال له، والطاعة والعبادة (الله) من مقومات العقيدة، والحياة، وفيهما مع الأوامر الأخرى ما يصلح حياة العباد والمجتمعات، فقوة الشريعة قائمة على المعروف؛ لأنها من لدن عزيز حكيم، خبير عليم، والنقص في

(١) راجع: التاريخ الجديد (تاريخ المهمشين)، جاك لوغون، وجود كلود شميث، وآخرون،

ترجمة: محد الطاهر المنصوري، بيروت، لبنان، ص ٤٣٨.

(٢) راجع: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، جزء ١، عبد القادر عودة،

ص ٧٠.

العبادة يورث الإنسان الفساد، والسرقعة المعروفة، لا سيما الكبرى، فهي تورث عدم الاكتراث للحقوق، وعدم مراعاة الآخرين، فالإنسان إذا لم يخش خالقه فكيف له أن يخشى مخلوقاً مثله؟! إنه الحل الأمثل هنا لبناء المجتمعات.

ويضم النص القرآني إيضاح أسباب الاتجاه للسرقعة؛ لتعددتها، وتنوعها، ويشترك كلُّ السارقين في صفات واحدة منها: العدوانية، والانتقام من المجتمع، والحقد الدفين على غيرهم، وربما لظروف قاسية عليهم اتجهوا للسرقعة، وأيضاً فالسارقون لا يشعرون بأي تأنيب للضمير أو لأنفسهم المريضة، ونرى أن النص القرآني أكد على أن عقوبة قطع اليد تقوم على أساس نفسي قوي، وعلى دراية بالطباع البشرية، ومنطق العقول، والأشياء، فمن يفقد يده يخاف ألف مرة أن يسرق مرة أخرى؛ فسوف تقطع يده الأخرى، وإن عاد فساقه اليسرى، وهكذا يضحى قعيداً لا فائدة ترجى منه، فلا يعود لسابق عهده، وإن سُجِنَ فسيخسر أموراً كثيرة بسجنه هذا، وإن كانت عقوبة السَّجْن لا تتفق مع منطق العقل، وطبع الأشياء، لذا كان التأكد والتطبيق للحد من الأمور الحافظة للمجتمعات وأغراض الناس فيه من مال وممتلكات، وكل شيء هم مالكون له، وهكذا كانت السرقعة مرضاً معنوياً يصيب النفس الإنسانية بالفساد؛ لذا فلا بد من معالجة صاحبها منه؛ حفظاً له، وللمجتمع، ولحقوق الناس فيه.

المطلب الثالث عشر: السَّفَه:

تعد السفاهة من الأمراض المعنوية التي تصيب الإنسان فتخرجه عن حد الاعتدال، والصحة النفسية، والعقلية السليمة، وترجع أصول السفه إلى مادة (سفه) التي تعني خفة العقل، فالسفيه هو الخفيف العقل، وهو الجاهل، والسفه والسفاه والسفاهة: خفة الحلم، وقيل هو نقيض الحلم، والجهل^(١)، أما اصطلاحاً

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (جهل)، ص ٢٠٣٢، و ٢٠٣٣.

فهو عبارة عن التصرف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل بالتبذير فيه، والإسراف، مع قيام خفة العقل فلا يدفع إليه ماله قبل البلوغ^(١) بدليل قوله تعالى: "فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا"^(٢)، فالمعنيان: الاصطلاح، ومن قبله اللغوي، يفيدان أن السفه هو الخروج عن الحد المعقول، والصحيح، للاعتدال في التصرف في الأمور، وهو ما يصيب النفس فيجعل صاحبها فاقداً للتوجيه العقلي السليم، فأينما يوجه لا يأت بخير أبداً.

إن المضمرة القولية في آيات السفه في (القرآن الكريم) ينبه إلى أن السفه يهلك نفسه أولاً قبل إهلاكه لمن حوله، والسفهاء لا يأتون أبداً بخير؛ إنهم يتصرفون عن جهل، وعدم إدراك وإحاطة بالأمر، لذا نجد الآيات الكريمة تحت على البعد عن السفه، ومنها قوله: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ"^(٣)، وقوله: "وَإِذْ أَخْرَجْنَا مُوسَىٰ فَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذتَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّيَّ أَنهَلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْوِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ"^(٤)، وأيضاً في قوله: "وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا"^(٥)، وموضع أخرى أيضاً^(٦)، وكلها تنبه إلى أن السفه لا يفعل ما يفعله العقلاء، لذا فهو مريض يجب الحذر منه،

(١) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٣٤٩.

(٢) سورة النساء: ٦.

(٣) سورة البقرة: ١٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٥) سورة النساء: ٥.

(٦) ورد السفه أيضاً في القرآن الكريم في سور: البقرة: ١٣٠، و١٤٢، والأنعام: ١٤٠.

ومعالجته.

ومضمرات الآيات القولية المختزلة تدور في فلك متسع من الدلالات، رغم محدودية الآيات لفظيًا، فهي تنبه إلى الحذر من السفية، وتجنبه، وتدعو لعلاج؛ كي لا تفسد نفسه، والمجتمع معه، جراء سفهه، فالسفه يجعل صاحبه يؤذي غيره، إنه منافقٌ كذابٌ أحيانًا، ولا يتورع عن التسرع في الحكم على الأشياء، إنه لا يمتلك عقلًا كاملاً، ودائمًا يجتمع السفه مع الجهل، والتكبر، والظلم، وهم معًا يشكلون طامة كبرى تؤدي بحياة السفية نفسه نتيجة أفعاله الخرقاء، والسفهاء لا يكتفون بمحاولة التوقُّع على أنفسهم، بل يضلون من حولهم بأفعالهم الهوجاء، لذا تدعو الآيات لتجنبهم، وعدم الانصياع لأوامرهم، حتى وإن طلبوا حقًا هو لهم.

ومضمرة الآيات الكريمات يصنع نقطة مركزية تتعلق بأمرين: أحدهما دنيوي، ويكون فيما يتعلق بإتيان الأموال، وما يقيم حياة الناس، والأمر الدنيوي في آيات السفه يضمّر أيضًا دعوة مختزلة تؤكد أن السفية يمكن أن يكون جاهلاً بمواضع الكتابة، والإملاء، فلا يصح له أن يكتب عقدًا إذا ما استدان من الغير، ولا يصح له تعليم غيره العلم النافع؛ وذلك درءًا للمفاسد، وحتى لا يكون هناك ضياع للحقوق، والنساء السفهيات أيضًا لا يصح أن يتقلدن زمام الأمور المالية؛ حفظًا لها، وصونًا للأسرة والمجتمع، والرجل موكل إليه القيام بهذا، فالقوامة له، وأيضًا فمضمرة الآيات يحمل وجوب الحجر على السفية الذي لا يدرك قيمة ما معه، صغيرًا كان عمره أم كبيرًا، فحفظ المال والممتلكات أمر تكبره الشريعة، وتعظمه للأفراد والمجتمعات في جميع الشرائع.

وأما مضمرة القول الذي يحمل الجانب الديني في الآيات الكريمات فإنه يؤكد أن الجهل بالدين يجعل المرء في نقص من رؤية الحقيقة؛ فقد طُمِسَ على قلبه، وعقله بمواضع التصرف الصحيحة؛ فيخبط خبط عشواء، فالسفه في الدين هو الجهل به، وقد قيلَ إن أصل السفه: الخفة، ويسمى الجاهل سفيةً لأنه

خفيف العقل ناقصه، فمعنى الجهل هنا شاملٌ لجميع من أطلق عليه اسم (السفيه)^(١)، فالسفهاء الذين يعاندون رسل (الله) عليهم جميعاً الصلاة والسلام، لن يقتنعوا بما جاء به الرُّسلُ والأنبياء؛ لأن العناد، والانصراف عن الحق دأبُهُم، وأيضاً فالسفيه يجهل مواضع التصرف في الأمور الذي يقصدها، فهو بذيء اللسان يتبع أهواءه.

وهناك من المضمرات القولية في آيات السفه ما يؤكد أن السفيه لا ينبغي الانصراف عنه بل يجب الإحسان إليه، وإعمال الرقة في التعامل معه قولاً، وفعلاً، وأن يُنفقُ عليه من الأموال بل وإطعامه، وكسوته، وتلبية احتياجاته دون تأخير؛ رحمة به، فلا ذنب له في سفهه إذا كان مرضاً لا براء منه لتأخر عقله في إدراك الأمور.

والسفه في الدين يضمّر قولاً مختزلاً تدعو فيه الآيات إلى عدم الأخذ بآراء السفهاء، وعدم الاستماع إليهم بل إنهم يجب ألا يقام لهم وزن؛ إنهم ينقادون لأهوائهم التي لا يوجهها العقل الصحيح؛ لأنهم يفتقدونه، علاوة على انخداعهم بالشيطان الذي يسول لهم الحمق، والجهل الذي هم عليه، شيئاً جيداً، وهم أيضاً فاسقون يتكلمون بما لا يعلمون، ويفتون الناس خطأً، إنهم بطيئو الفهم، سريعو الذنب، دائمو العصيان، وما هذا إلا لطيشهم وحمقهم، وهكذا فمضمّر الآيات تحثنا على عدم الركون للسفهاء، سواءً كان السفاء سفهاء في الدين أم كانوا فاقدين للعقلية الصحيحة، صغاراً كانوا أم كباراً، مجانين كانوا أم عقلاء، رجالاً كانوا أم نساءً، فلا نأخذ بآرائهم.

ومضمّر الآيات القولية يدعو كذلك لاجتناب السفيه على جميع حالاته،

(١) انظر: أحكام القرآن، جزء ١، الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م، ص ٤٨٨.

وأياً كان المضمرة القولية في آيات السفه، فإن الإرشادات، والقضايا التي أنتجها المضمرة القولية تأتي من الفهم الجيد، والفتنة للأنماط المتعددة من الإرشادات، والنصائح القوية، وتكون تجليات ذلك في الاهتداء إلى علامات دالة لفظياً عند المتلقي تكسبه أحكاماً، ودلالات منطقية، عبر مؤشرات معطاة في الملفوظ المعطى في الآيات، وهذا بلا شك يتطلب تجنيد معارف متنوعة لفهم الدلالات الأوسع للمضمرة القولية في الآيات^(١)، وهكذا، فالسفه مرض معنوي يؤثر بالسلب في صاحبه، والمجتمع، فينتشر الفساد، وتغيب المسلمات في الاحتكام إليها لتغيب العقل، وذهاب المنطق.

المطلب الرابع عشر: العتو:

للعنو أثر سلبي على صاحبه، ومجمعه على حدٍ سواء، وتعود أصوله للجذر (عتو) الذي يحمل دلالات تجاوز الحد، وعتا يعتو عتوا وعتياً: منقلب الواو إلى الألف، و(عتا) بمعنى: استكبر، وجاوز الحدّ، والعتا: العصيان، والعتاتي: الجبار، وجمعه: عتاة، وهو الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظةً، والعتو: التجبر والتكبر، وتعني لم يَطَع^(٢)، واصطلاحاً، فالعتو جاء بمعنى العتو، وكلاهما يعني المبالغ في كبرٍ أو فسادٍ أو كفر، والعيث مع الفساد يتفاوتان في التعدي واللزوم مع قرب معناهما، فإن العيث هو الإفساد لا الفساد، يقال (عاث في الغنم الذئب) إذا أفسد^(٣)، فالمجاوزة للصحة والاعتدال هما عنوان العتو.

وحفل (القرآن الكريم) بذكر هذا المرض؛ لينبه على خطورته على النفس،

(١) راجع: حمو الحاج ذهبيّة، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، الجزائر، الأمل للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٢م، ص ١٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (عتو)، ص ٢٠٨٣، و ٢٠٨٤.

(٣) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٩٤٣.

ومن مواضع ذكره نجده في قوله: "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"^(١)، وكذلك قوله: "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا"^(٢)، وأيضًا في قوله: "أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ"^(٣)، وفي مواضع أخرى^(٤) أيضًا، وكلها دلت بقوة على العصيان والجبروت الذي عليه العتوي في التعامل مع غيره حتى إنه يتكبر في عبادته، وصلته بالخالق (سبحانه)؛ وهذا لما تسوله له نفسه المريضة من عدم الانصياع للأوامر الإلهية.

ومن مضمرات الآيات القولية إظهار الجبروت، والشدة، سواءً كان العتو صفة للإنسان أو الريح أو الكفر أو ما اتصفت به الأمور، وكلها تؤكد وصول الشيء لمنتهاه، منتهى السوء له، فالريح العاتية هي العاصفة بقوة، والعمر العاتي الذي تأخر لفترة أطول، وكذلك الأمر العاتي قد وصل لمنتهاه في الصفة التي يرصدها العتو، وتفيد الآيات التأكيد على أن الضال، والعتي يكون في ضلال واستكبار؛ لذا فلا خير يرجى منه، وتبين الآيات أن أهل الطغيان والإفساد والبغي كلما زاد طغيانهم كلما ساءت خاتمته، واشتد عقابهم، كعقاب قوم (ثمود) الذين عقروا الناقة، وأيضًا فالإنسان لا يجب أن يطغى، وعليه ألا يغتر لحال هو عليها من قوة أو مال أو شيء آخر، وهذا مرض العتو الذي يجعل نفس صاحبها متكبرة، لا تطيق نصحاء أو محاورة، ولا دواء له سوى

(١) سورة الأعراف: ٧٧.

(٢) سورة الفرقان: ٢١.

(٣) سورة الملك: ٢١.

(٤) ورد العتو في القرآن الكريم في سور: الأعراف: ١٦٦، ومريم: ٨، و٦٩،

والذاريات: ٤٤، الطارق: ٨، والحاقة: ٦.

الرجوع للحق، وأهمها معرفة (الله) سبحانه، والتزام طريقه القويم، والكفر أشد أنواع الطغيان، والعتو، فالآيات في تصويرها للعاتي، وهذا المرض يجعل المتلقي في حالة تصويرية وقد تداعت إليه الصور والأحداث هنا، وهذا يحيل إلى ما أضمر في الآيات من رسائل وقضايا؛ فإن إنتاج المعاني الغائبة يأتي كآلة تتشكل داخل الألفاظ، ولاستجلاء الإطار المرجعي المتحكم في معانيها لا بد من الوقوف عليها، وفي النهاية نظم المعطيات المكانية والزمانية لمجموع الحيز اللفظي يجعل المتلقي يفطن لأغلب ما تلمه الآيات، وما أضمرته كلماتها من مضمرات قولية مختزلة^(١) ترسل للقاريء إشارات دالة لقضايا، ودعوات مهمة لما يجب عليه الانتباه إليه.

ومن المضمرات القولية في آيات العتو التأكيد على أن العقاب الذي ينال العاتي يكون عقاباً عادلاً، لا ظلم له فيه؛ فهو بظلمه، وجبروته استحق العقاب المهلك، لذا نجد (صرصر عاتية - عتوا كبيراً - من الكبر عتياً) تدل على نزول العقاب على قدر المعصية، فالريح العاتية بها الهلاك لعصيان القوم، والعمر العاتي يكون لعدم الوعي والقدرة على فعل الأمور التي كانت اليد الطولى فيها للشباب، والعتو في المعاندة والكبر هو تجاوز للحد في العصيان، ولذا يكون العذاب الشديد، وهذه الأمور تؤكد ذلك المرض الذي يصيب النفس فيبعدها عن تبصر طرق النجاة، والفلاح لها، والتي تظن عن جهل وفساد أن ما تفعله هو الصواب، وخابت ظنونها إذا لم ترجع عن غيها، وتعود لرشدها، فتنجو مما هي فيه من غفلة، وظنٍ خاطيء مدمر لها.

ومن المضمرات أيضاً الدعوة لعدم التكبر والمعاندة حين يمتلك الإنسان قوة أو مآلاً فأجدر به ألا يدخل في عناد مع (الله) سبحانه، انه ومع الناس، فالعتو

(١) راجع: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص ٨٩.

لن يورث صاحبه إلا الهلاك، فما كان العقاب إلا لتجاوز الحد، وكل إنسان يكافأ جراً ما فعل، خيراً كان فيثاب أم شراً كان فله جراه العقاب، فالجزاء من جنس العمل، وقد أكد سبحانه هذا في قوله: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ"^(١)، فالعتو لا يكسب أصحابه إلا الدمار، ومن مضمرات الآيات أيضاً التأكيد على أن الصامت عن الحق كفاعل الإثم تماماً؛ فهو مشارك له لعدم دفاعه عن الحق، ومحاولة دفعه للظلم، فالأفراد الذين يعتون، ويفسدون يؤخذون بذنبهم، ومعهم المجتمع الذي سكت عن عتيتهم، فقرية (ثمود) أُخِذَتْ بما فعل سفهاؤهم؛ فهم لم يدفعوهم أو يقاوموا عتيتهم، وما يحل بالمسلمين من ضعف وابتلاءات إنما لفساد بعضهم، وبعدهم عن النهج القويم، فالعتو والطغيان يجعلان المجتمع عرضةً للعذاب الأليم من قبل (الله) سبحانه، فالعتو نهايته وخيمةٌ بصاحبه ومجتمعه.

(١) سورة الشورى: ٣٠.

المبحث الثاني: القرآن الكريم، والأمراض المعنوية التي تصيب القلب:

هناك عدد من الأمراض المعنوية التي تصيب القلب فتخرجه عن حد الاعتدال والصواب في الحياة، وتجعل صاحبها في ضيق، وعدم انسجام مع حوله، فتصيب طباعه بالقسوة، والشدة، وأحياناً يصاب القلب بالنفاق فيكون صاحبه ذا صفات مناقضة تماماً لما يجب أن يتحلى به الإنسان مع غيره، ومن أهم تلك الأمراض ما يلي:

المطلب الأول: البغض:

يصاب القلب بمرض البغض فيضحى من حوله في مرمى العدو له، فلا يجد المبغض ميلاً لمن حوله، ولا يألف قلبه الآخرين، ويغيب الحب لهم من قاموس كلماته؛ فالقلب عضو رقيق يفسد سريعاً، وقد ورد البغض في لغة العرب مشتقاً من الجذر (بغض) والبغض والبغضة نقيض الحب، والبغضاء والبغاضة: جميعاً شدة البغض، والتباغض ضد التحاب^(١)، وقد قال (القرطبي) عنه أن البغضاء تعني التكذيب، وهو ضد الحب، والعداوة نقيض الحب^(٢)، واصطلاحاً، فالبغض هو عبارة عن نُفْرَةِ الطَّبْعِ عن المؤلِّمِ المُتَعَبِّ، فإذا قوي يسمى مقتاً^(٣)، وهكذا فالبغض هو خروج الإنسان عن حد الاعتدال والصواب حين يكره غيره دون سبب مقبول يدعو لهذا، وهذا خروج عن الفطرة السليمة، والطريق الصحيح، وما القلب إلا مضغة في جوف الإنسان معلقة بالنياط، أي العروق، والتي يعلق بها القلب، وفي النصوص الشرعية يراد بالقلب هذه المضغة، ويراد بها أحياناً العقل، والقلب: الفؤاد^(٤) فمعاني القلب متعددة في

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (بغض)، ص ٣١٩، و ٣٢٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، جزء ٥، القرطبي، ص ٢٧٦.

(٣) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٣٨٩.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (قلب)، ص ٣٧١٤، و ٣٧١٥.

اللغة العربية، ولا سيما في (القرآن الكريم).

وورد البغض في القرآن في مواضع معدودة منها في قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"^(١)، وفي قوله: "إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْتَهْوُونَ"^(٢)، وأيضًا في: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"^(٣)، وفي مواضع أخرى^(٤) للتبنيه على بشاعة هذا الأمر.

ومن مضمرات القول في الآيات الكريمت التأكيد على إصابة القلب بهذا المرض الأليم (البغض)؛ لأن تلك المضغعة الصغيرة متقلبة، ويكون محلها الحب، والبغض، فإذا ما كساها البغض أصبحت لا تصدر إلا ما يسوء الآخرين، وأيضًا تظهر العداوة مع البغضاء دائمًا، فمن يبغض يكره، وبالتالي يناسب من يعاديه البغض، وهذه آفة القلب العظيمة التي بها يُخرب المجتمع، ويسود التفرق بين أبنائه، وما هذا يفعل القلب الصحيح الذي يجمع ويوفق بين غيره، ومن آثار هذا المرض الخبيث شيوع الكره، والحقد، والحسد بين أطراف أبنائه، أما القلب الصحيح غير المريض فلا تلتصق الفتنة به، وتبعد عنه البغضاء، وهذا ما يوضحه قوله: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِنْهُمُ

(١) سورة آل عمران: ١١٨.

(٢) سورة المائدة: ٩١.

(٣) سورة الممتحنة: ٤.

(٤) ورد البغض أيضًا في القرآن الكريم في سور: المائدة: ٦٤، و٨٤.

فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (١) فالعداوة والبغضاء لا تكونان في القلب السليم المؤمن الذي ياتمر بأوامر (الله) سبحانه، ويلزم ما جاء به الأنبياء جميعاً (عليهم الصلاة والسلام)، وهذا الأمر قد يؤدي إلى الكفر والنفاق، والبعد عن النهج القويم، وما تلك بصفاتٍ للقلب السليم، فالطريقُ السهلُ للشيطان يكون من خلال نشر البغضاء، وطريقه يضحى ممهداً لغزو القلوب التي أصيبت بالبغض فيأتي هدمُ المجتمعات منه حينها.

ومن مضمورات القول المختزلة في الآيات كذلك النصُّ بقوة على شيوع البغض بين المشركين والمنافقين، وأنهم ذوو قلوب لا تحمل خيراً لغيرها أبداً، فلا شيء تحمله سوى البغضاء والعداوة للآخرين، وهاتان الصفتان متلازمتان عندهم دوماً؛ فهم يبغضون الآخرين دائماً، ويناصبون من خالفهم في عقيدتهم الزائفة العداوة والبغضاء، حتى إن البغضاء لتجد طريقها بين أطراف مجتمعهم الواحد بسلاسة، ويسرٍ، وفي هذا الأمر دعوةٌ قوية للاحتراس من هؤلاء، وعدم الوثوق بهم، إنهم مثلونون، لا يضمرون إلا الشر، وإرادة نشر الكفر والكره وكل ما هو سيء بين المجتمعات، وهذا أجدر ألا يستمع إليهم أو أخذ مشورتهم، فهم لا يكونون إلا الخراب والدمار لغيرهم، وهذا ما تفرزه بقوة دلالات قوله: "فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...".

وكذلك فمن مضمورات القول المختزلة في آيات البغض الإيضاح لمدى ظلم المبغض لنفسه، ولغيره، إنه يظلم نفسه بتحميلها ما لا يطاق من حقد، وكره لغيرها دون سبب وجيه، و(الله) سبحانه لا يريد ظلماً بالعباد، وظلم الإنسان لغيره إنما هو انتهاكٌ لحقوقه الطبيعية، ومنها التعايش مع الآخرين في سلام وأمان، فالعداوة في القلب المريض تجعله محتقناً، وهكذا يصاب الإنسان

(١) سورة المائدة: ١٤.

المبغض غيره بالانعزال، والانطوائية، وهذا طريق البداية لغرس الوسواس، والخروج عن الصحة النفسية، لا سيما إذا كان ما حول المرء أناسًا لا يبغضون غيرهم، ولا يُخشى جانبهم، فالآيات تحمل أقوالاً مخفية يفتن إليها من كان له قلب واعٍ متفهم غير مبغض لغيره.

ولا تغيب عن مضمرات القول في الآيات تلك الدعوة التي تحت على عدم الاستماع للمبغضين من الكفار والمنافقين؛ فهم في عداوة، وبغضاء بين بني جلدتهم، فما بال غيرهم يأمنون لهم؟!، إنهم باختلافهم عقائديًا مع غيرهم إنما يضمرون رغبتهم في أن يقطع الإنسان السليم علاقته مع أهله، وأقاربه، ولا تخفى إرادتهم الخديعة والبغضاء بالمؤمنين المخالفين عقيدتهم، ورأيهم، فما بين المؤمنين والمشركين لا يُعتد به تجاه العداوة والبغضاء في الدين، ولنا في قصة النبي (إبراهيم) عليه السلام تأكيد على صحة هذا، في قوله: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ....." (١)

فالآية الكريمة تؤكد للمتلقي ضراوة البغضاء في نشر الحقد، والضغائن بين أبناء المجتمع الواحد، وقد تكون البغضاء غير ظاهرة فيكون تأثيرها أشد فتكًا بلحم المجتمع، وبجسد أبنائه، لتوليد البغضاء للحقد الدفين الذي يولد الكره الخفي، وإن العلاقات الاجتماعية لتضمحل حينئذٍ، وفي ذلك هدم للمجتمع، وقتل لأواصر الصلات فيه؛ فيصبح مفككًا ضعيفًا.

ومن مضمرات القول المختزلة في البناء القرآني لآيات البغض أن الخمر، والميسر، وغيرها، منكرات لا تتنه عن ذكر (الله) سبحانه فحسب، بل إنها لها العامل الأكبر في انهيار المجتمعات؛ فالشيطان يزين تلك المنكرات للناس فيوقع بينهم العداوة والبغضاء عبر قطع ما بين الناس من صلوات، ويثير

(١) سورة الممتحنة: ٤.

في نفوسهم الأحقاد، والضغائن بسبب تعاطيهم للخمر، والميسر، وذلك لأن شارب الخمر إذا ما استولت الخمر على عقله أزلت رشده، وأفقدته وعيه، وتجعله قد يسيء إلى من أحسن إليه، ويعتدى على صديقه، وجليسه، بل على أبنائه؛ إنه فاقدٌ للعقل حينها لكن برغبته المهلكة له، وذلك يورث أشدَّ ألوان العداوة، والبغضاء بين الناس، والمقامرُ سيصر على إهلاك الآخر لرغبته في الفوز، والجني للأموال الحرام، وهذه الأمور من أشد المضمورات الكائنة في الآية، والتي توضح مدى بشاعة المقاصد الدنيوية للخمر، ولذا فر(القرآن الكريم) ينهى عنها بشدة؛ رغبة في الحفاظ على النفس والمجتمع، وليشده من ذرى أواصر الصلة التي بين أبنائه، ولا تغيب المفاصدُ الأخروية لها من إظهار البعد عن ذكر (الله) تعالى، وأداء الصلاة لمن عاقر الخمر، ولعب الميسر، وهذا ما لا تأمر به القلوب السليمة، فالنص القرآني له طريقتان في إكثار الدلالة، وتجاوز الطابع الكمّي إلى ما يخلق دلالات قوية تتطلب قارئاً فطناً قادراً على الفهم لدلالات الآيات، ومقاصدها، وما وراءها من أمور، وإشارات لا تخفى على كل ذي فطنة، وفي هذا تحقيق لبلاغة خاصة تختلف عن النصوص الأخرى في اللغة^(١) فالبناء القوي المعبر له دلالاته الكثيرة؛ فالبناء الموحى الدال للآيات هنا يجعل القارئ قادراً على استكشاف ما وراء الآيات، واستنتاج الدعوات الضمنية عبر الظاهر من الألفاظ الموحية التي تدعو إلى البعد عما يولد الإحْن، وينزل المِحْن، وهذا ما تفعله الخمر.

ولا تغيب المضمورات القولية، في الآيات، تلك التي تدعو لعدم اطلاع المؤمنين لأسرارهم، وخبايا أمورهم للكفار، والمشركين، والمنافقين؛ حتى لا يستغلون ذلك في الوقيعة بين المسلمين، فالمنافق إذا خاصم فجر، وإذا

(١) راجع: بلاغة الأشكال الوجيزة، النادرة أنموذجاً، سليمان الطالي، ص ١٨٨.

أو تمن خان، ولا يضمّر المنافقون، وغيرهم من بني جلدتهم، إلا الكره والبغض، بل أكبر من هذا، لذا كان لزاماً على المؤمن أن يحترس منهم، وألا يأمن لهؤلاء الذين لا يبغون إلا الكره، والحدق، وما يظهرون من صداقة وحب إنما هي أمور زائفة لا أساس لوجودها حقاً؛ فقلوبهم مصابة بالبغضاء، والحدق لغيرهم دون سبب معقول، ففي الآيات يُقدّم المعنى المضمر عبر ما يبرهن عليه، ويُفهم مما يستولد من تكثيف الآيات التي توميء لتلك المعاني بجدارة، بل إنها تفجر الأسئلة، وتعطي أجوبة عنها مفادها الدعوة للبعد عن هذا المرض المعنوي (البغض) فهو لا يكون إلا في المنافقين والكافرين، وما وُلد إلا الشرور والآثام، والنهي عن سلوك الطريق القويم.

المطلب الثاني: الخوف:

يعد الخوف مرضاً قليلاً، فإذا قصد منه الخشية (الله) فذلك يورث صاحبه المعرفة (الله) والتقرب منه، فيخرج آنذاك عن كونه مرضاً، وهذا شقّه الإيجابي، ونجده أيضاً يورث الجبن، والبعد عن مواطن العزة والكرامة إذا كان الأمر يتطلب شجاعةً، كالحروب، والإقدام على غمار الخطوب، وهذا هو الشق السلبي، وهو هنا يعني الذعر والفرع، والخوف مشتق من الجذر (خوف) الذي يحمل دلالات الفرع والتراجع، فالخوف: الفرع، والخوف: القتال، والخوف: العلم^(١)، أما اصطلاحاً فيراه (الجرجاني) التوقع لحلول مكروه أو لفوات محبوب^(٢) ويره الرازي (ت ٦٠٦هـ): التألم للقلب لانتظار ما هو مكروه عنده، والرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده^(٣)، فهناك إذن فرق بين

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خوف)، ص ١٢٩٠، و ١٢٩١.

(٢) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص ١٣٧.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي المشتهر ب: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الفخر الرازي،

جزء ٤، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨١م، ص ٣١٦٦.

الخوف والرجاء، فهما متضادان؛ فشتان ما بين التألم والارتياح، فالذعر والفرع هو المعنى الأهم هنا للخوف، وفي هذا خروج عن الحد الصحيح، والمعتدل للخوف العادي من الأشياء، وتوقع المكروه من أصغر الأمور، وهذا يعد مرضاً أنيًّا لا يرتبط بطبع أو غيره، وإنما بموقف ما يولد هذا المرض.

وفي آيات (القرآن الكريم) نجد إشاراتٍ قويةً للخوف، وأنواعه المحمودة والمذمومة، وأن هناك مضمرات قولية تتعلق بمعانيه، منها: الذعر، والخشية، والعلم، والقتال، وكلُّ له موضعه، ومضمراته، وقد ورد في مواضع عدة، منها في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"^(١)، وأيضاً في: "وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِلَىٰ مَن مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ"^(٢)، وثالثة في: ".... وَلَا يَجُلُ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنٰهُم مِّن شَيْءٍ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فإِن خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۗ...."^(٣)، وغيرها في مواضع أخرى^(٤) لتعطي مضمرات عديدة، ومتنوعة تدور في فلك ما تدل عليه معاني الخوف من الخشية أو العلم أو القتال أو الخوف المعروف.

والخوف من المصائب الدنيوية التي يُبتلى بها المؤمن، وهو لإظهار الثبات على الإيمان، ومحبة (الله) سبحانه، والتسليم لقضائه، فينال به المؤمن رفعةً وزكاءً في مكانته عند الخالق (سبحانه) وإن المؤمن ليس بمعزلٍ عن

(١) سورة البقرة: ٦٢.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) ورد الخوف في القرآن الكريم في سورة: البقرة: ٣٨، و١١٢، و١١٤، و٢٦٢، و٢٧٤،

وسورة آل عمران: ١٧٠، و١٧٥، وسورة: النساء: ٨٣، وسورة المائدة: ٢٣، و٥٤،

و٦٩.

المصائب، والنوازل، ويقدم الخوف على الجوع، فالسعادة تكون بذهاب الخوف، والحزن، ولن يكون ذلك إلا باتباع باتتباع طريق (الله) تعالى القويم، ولأن الخوف ضد الطمأنينة، والفرع، والرعب ضد الأمن، فإن الخوف يلحق بصاحبه؛ لتوقعه مكروهاً سيقع إما عن أسباب واقعية أو ظنية ليس لها وجود.

ومن مضمرات القول المختزلة في آيات الخوف، وذلك حين يأتي ليعني الخوف الواجب من (الله) سبحانه، والخشية التامة له، ما نجده في قوله: "وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ" (١)، وقوله: "بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٢) فالمضمر القولي هنا يوضح ضرورة الخوف من (الله) في الدنيا، خوف خشية واستحياء من جنابه العظيم، وأن من خافه (سبحانه) سيكافأه ربه بمضاعفة الأجر، وزيادة النعيم، أما مَنْ عَكَفَ على الذنوب والمعاصي فلن يحظَّ بشرف أن يكون في مقام الخائفين الْمُخْبِتِينَ، فحُرْمَ من طُمَأْنِينَتِهِ في الدنيا، ومن منزلته في الآخرة، وأيضاً هناك مضمر مفاده أن الخوف مذموم إلا الخوف من (الله) سبحانه، وأن كُلَّ خَوْفٍ يُورِثُ صاحِبَهُ الاضطرابَ، والقلق، والنفور، إلا الخوفَ من الله فإنه يُورِثُهُ الطُمَأْنِينَةَ، والرِّضَا، والحُبُورَ، ونجد أيضاً تلك المعاني في آيات أخرى (٣) حاملة لمعاني الخوف المحمود الذي يكون من (الله) سبحانه، ولذاته الكريمة، ومن خافه اتقاه، وسار على نهجه القويم، أو ذلك الخوف المذموم المعروف في

(١) سورة الرحمن: ٤٦.

(٢) سورة البقرة: ١١٢.

(٣) ورد الخوف بمعنى: الخشية لله والخوف المحمود منه أو الخوف العادي من الآخرين، ومما يحدث في الحياة في سور: يونس: ٦٢، والأحقاف: ١٣، والبقرة: ٣٨، والبقرة: ٦٢، والبقرة: ١١٢، والبقرة: ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، وآل عمران: ١٧٠، والمائدة: ٦٩، والأنعام: ٤٨، والأعراف: ٣٥.

الدنيا، مما يحدث من خوف الفقر أو ذهاب الشيء العزيز، لذا كان إرسال الأنبياء برسالاتهم لطمأنة الناس، وهدايتهم سبلها، ولذا فمن آمن بهم، واتقى ما نهاه عنه ربه، وأصلح نفسه وعمله، فأولئك لا خوفٌ عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون لما يكون من أحداث في الدنيا، ف(الله) سبحانه سيقبهم شرورها، ويصلح بالهم، وأما الذين كذبوا بالرسول، واستكبروا، ولم يمتثلوا لما جاءوا به فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

ونجد أيضًا من المضمرة القولية لآيات الخوف المختزلة هنا الدعوة لقيم تربوية جميلة فالخوف منه (سبحانه) يرسخ مبدأ الثواب والعقاب، وأن الثواب والجزاء على قدر العمل، ومن يطغى ويتجبر على (الله) سبحانه، وعلى عباده، لا مصير له إلا العذاب الأليم، وهذا الأمر عواقبه المجتمعية الجيدة لا تخفى على أحد؛ فهذا يعمل على بناء مجتمع تسوده قيم الشرف، والعدالة، وإعلاء مبادئ الحق، والأمانة، وهذه الأمور تأتي لما أضمرت طبقات الكلمات، وحملها المعاني عبر طبقات لفظية مقتصدة تغطي هذه المعاني، وتذخرها فيما يظهر من دلالات توصل كلامًا مقصودًا بل إنها تضع اتصالًا قويًا مع المتلقي ليعي مقصود كلامها^(١).

ومن مضمرة الخوف بمعناه الحرفي يظهر التأكيد على أن الخوف من (الله) هو رأس الطاعات، وأن (الله) سبحانه يحفظ عباده المتقين، الخائفين منه، والخوف يجلب رضا (الله) ومغفرته، وأن الخوف منه في الدنيا يضمن للإنسان الفوز في الآخرة، والأمن أيضًا، فالقلب المؤمن ينقبض إذا ما ارتكب معصيةً فيظل خائفًا مترقبًا نزول عذاب (الله) به جراء فعله الخاطيء، وهذا حال

(١) راجع: معجم مقاليد العلوم مع الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٤، ص١٠٩.

المتقين فعلاً، وليس غيرهم، فالقلب يضطرب في حركته من تذكره لما يخيفه، وأن الخوف هو هروب القلب من حلول المكروه عند استشعاره^(١)، فيا حبذا الخوف من (الله) سبحانه، وهنا فالخوف يكون طريقه العلم بعظمته وقدرته، وخوف نقمته، والقلب أكثر الأعضاء شعوراً بهذا الأمر، وأما الخوف من البشر فهو أمر مذموم؛ فإنهم لن يضرُوا أحدًا إلا بأمر (الله) سبحانه.

ومن المضمرات القولية المختزلة التأكيد على أن الخوف لا يقف عند الإنسان فقط بل هناك من يخشى (الله) سبحانه غير الإنسان، فهناك الملائكة، والحيوان، والجماد، وهو ما قاله (سبحانه): "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ"^(٢)، وحين يُخَوِّفُ ويتوعد (الله) سبحانه أحدًا ساء عمله فمصيره الهلاك والخسران، ومن يتأمل الآيات يجد أن الخوف الحقيقي من (الله) سبحانه حين تسري بواذره قوية في جسد الإنسان فإنه يخشع لأوامر (الله) ويتجنب نواهيه، فيفوز برضاه (سبحانه) أما من فرط في جنب (الله) وأفرط في المعاصي فله الوعيد، والنار يصلها بما عمل، والخوف له آثاره الحميدة هنا؛ فالامتثال لأوامر (الله) سبحانه، واجتناب نواهيه يتولد بقوة في قلب الطائع المؤمن، وهذا غاية الخوف، ومراده الأسمى، والآثار المجتمعية حينها تكون غاية في الإصلاح، والبناء القوي للمجتمع؛ حيث تسوده المثل العليا، والقيم الرادعة للشرور والآثام، وهذه وسيلة إصلاح قوية، وفعالة لتشبيد المجتمعات؛ فالخوف في حد ذاته ليس شيئاً رديئاً يجب التخلص منه، أو الاستغناء عنه تماماً، لا

(١) راجع: بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، جزء ٢، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٥٧٨، و ٥٧٩.

(٢) سورة الرعد: ١٣.

سيما في مجالات التربية والمجالات الاجتماعية العادية^(١)، فالخوف ينشئ أجيالاً قوية لا تخشى أحداً سوى (الله) سبحانه، وفي الوقت ذاته تلتزم بالأعراف، والقوانين، وهذا من أسس نجاح المجتمعات في كل العصور. ومن المضمرة القولية أيضاً التأكيد على أن الخوف شيء فطري يكون في قلوب الطائعين، ومنهم الأنبياء، وهذا الخوف لا ينقص من وقارهم شيئاً، وفي ذلك دعوة للتأسي بهم عبر الخوف من (الله) سبحانه، فهم مع ما هم عليه نجدهم يخافونه، فما بالنا نحن؟! والخوف له مصطلحات توازيه معنى، ومنها: الخشية، والفرع، وهما لا يحملان كل معاني الخوف، فهما أشد قوة، وإظهاراً للخوف القوي، وعلى القاريء أن يستنتج المضمرة القولية تبعاً للسياق الذي هو فيه، وفي هذا حث قوي على الخوف المحمود من (الله) سبحانه، والحب للخالق يكون فيه التعظيم، والإيمان بقوته، وجبروته (سبحانه) وفي هذا تجنب لعذاب الآخرة، ووقوع العذاب الدنيوي كالجوع والقتل، وغيرها، فمعاني الخوف هنا تأتي مغلفة بالألفاظ المبينة عنها عبر الفهم الجيد، والتوصل للقضية المعبرة عنها، فالآيات محملة باللغة الموحية التي تستمد ثراءها مما يكتنفها من إشارات قابضة في جوف النص القرآني، وتصنع بؤرة مفتوحة على سبل الاهتمام للمعاني والقضايا المطروحة، فهي تضرب في الأعماق عبر جمالها وعذوبتها، وصياغتها عبر التناسب بين الشكل والمضمون فتشكل دلالة منوطة بها غير أن طريقها ليس سهلاً ليتهدى إليه بل تحتاج لفهم تقاطعها، وتحتاج لرائد يدل على هذه الأمور، وهو الربط بين الألفاظ التي تصف الخوف، وتنوعاتها، والربط بينها بقوة^(٢) لتتضح الفكرة الجامعة.

(١) راجع: سيكولوجية الدافعية والانفعالات، محمد بن محمود بن يونس، عمان، الأردن، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٤٤، و٢٤٥.

(٢) راجع: جمهرة توقيعات العرب، محمد محمود الدروبي، وصلاح محمد جرار، الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠.

ومن المضمرات القولية أيضًا الإشارة إلى الطوائف الإنسانية الأكثر خوفًا، وخشية (الله)، إنهم العلماء، ومع ذلك فإن الإنسان عامة هو الجاحد الوحيد (الله) سبحانه؛ لفعله المعاصي، وارتكابه الشرور والآثام، ودعوة غيره لإتيانها دون خوف من (الله) الذي لن يضره، إن أهلكه، شيء في ملكه (سبحانه)، والعلماء هؤلاء يخشون (الله)؛ لوصولهم للمعرفة الإلهية الصحيحة، وهنا تذكير بضرورة الخشية (الله)، والخوف من عذابه الأليم، وكذلك فإن خوف الملائكة خوف إجلال ورهبة، وخوف الأنبياء خوف عقوبة وانتقام؛ لأنهم ممتحنون، وكل ممتحن يخاف عذاب الآخرة، ونقمة (الله) سبحانه، وجب عليه الطاعة لأوامر (الله) والامتثال له، والبعد عن نواهيه.

وهناك الخوف بمعنى (القتل) كما في قوله: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالنَّمَرَاتِ....." (١)، وقوله: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ....." (٢)، وله مضمرات قولية مختزلة تدعو للثقة المطلقة في لطف (الله) بنا، وإحسانه إلينا؛ فإننا إن خفنا مرة فطالما أمّن روعنا، وإن جُعنا يومًا فكم مرة أشبعنا، وإن عدِمنا قليلًا فلقد أغنانا كثيرًا، ثم إننا لنثاب على البلاء القليل، إن صبرنا، ثوابًا عظيمًا، وأن من لا يتقون به (سبحانه) هم أكثر الناس عجلة في الشكوى مما يصيبهم دون إرادة الصبر على تلك الابتلاءات، وأن كل بلاء، وإن جُلَّ، ففوقه ما يقل إليه، وليخفف عليهم، ويربهم أن رحمة (الله) مع الطائعين الصابرين على الابتلاء في كل حال لا تزييلهم، وأنه -سبحانه- يبتليهم من هذه المصائب بقدر ما يمتاز به الصابرون عن غير الصابرين، وإنما أخبر الله عباده بالبلاء قبل وقوعه ليوطنوا

(١) سورة البقرة: ١٥٥.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

أنفسهم عليه، ويجاهدوها في سبيل الحق، ويزداد يقينهم بما أخبر (الله) به، وليعلموا أن عاقبة الصبر عليه حميدة، وكذلك فإنه ينبغي للناس إذا جاءهم أمرٌ من الأمور المهمة، والمصالح العامة، وما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة؛ عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، حرصاً على سلامتهم، وإبعاداً للأعداء المتربصين بهم عنهم، فإنه لا بد أن يبثلي (الله) عباده بالمحن؛ ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته (تعالى) في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة (الله) سبحانه تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر.

وهناك الخوف بمعنى (الحرب)، ومنه ما نجده في قوله: "أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ^ط فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ^ط فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ^ط...." (١) وهذا يكشف عن كيفية استخدام النشاطات التي تسبب الخوف والقلق لدى الأشخاص الذين يُرَادُ التأثير فيهم دون الإضرار بهم جسدياً، وأيضاً تدلل الآيات دلالة واضحة على قوة إيمان المؤمنين الذين لا يخشون إلا (الله) سبحانه، وتؤكد شدة ثقتهم في نصر الله-تبارك وتعالى- لهم، مهما كثر عدد أعدائهم، ومهما تعددت مظاهر قوتهم، وهنا دعوة قوية لعدم الخوف مما يجهله الإنسان، بل عليه أن يثق في (الله) وأنه سبحانه لن يوقع عليه إلا الخير، وأن قلب الإنسان لا بد أن ينحى الخوف جانباً؛ كي يخوض غمار الخطوب، والمعارك، ولا يخشى شيئاً سوى (الله) وأن غضب ما دونه لا يوقع به العذاب الأليم كغضب (الله) عليه.

وهناك الخوف بمعنى (العلم بالشيء) كما في قوله: "فَمَنْ خَافَ مِنْ

(١) سورة الأحزاب: ١٩.

مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١)، وقوله: "وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ"^(٢)، وقوله: "وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا"^(٣)، وهنا مضمرات قولية قوية تدعو الإنسان إلى العدل في تقسيم الأشياء بين أصحابها المستحقين لها، لا سيما في الميراث، فلا بد من مراعاة الحق، وألا يؤثر من يوزع الحقوق طرفًا على آخرين فيعمل على نشر العداوة، والحقد بينهم، وهكذا يكون الخوف بمعنى العلم بيوطن الأمور، فلا بد أن يحتاط الإنسان لمثل هذه الأمور، وأن الوصي إذا رأى في الوصية ميلا عن الحق عن خطأ كان أم عمد وأصلح بين الموصي لهم ليردهم إلى الوجه المشروع فلا إثم عليه في التغيير في الوصية حينئذ؛ فالتغيير لصالح الحق، وليس لشيء غيره، وفي هذا دعوة لإقامة العدل بين أصحابه، والتأكيد على أن المُعَيَّرَ حينئذ في الوصية ليس آثمًا بل هو مأجور على إصلاحه، فإن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، وأيضًا فإن الأزواج لا يجوز لهم أن يأخذوا في حالة الطلاق من زوجاتهم في مقابلة الطلاق شيئًا مما أعطوهن من صداق أو غيره من أموال، لأن هذا الأخذ يكون من باب الظلم الذي نهى (الله) تعالى عنه، وليس من باب العدل الذي أمر به إلا في حالة أن يخاف الزوجان كلاهما أو أحدهما، ألا يقيما حدود (الله) ففي هذه الحالة يجوز الأخذ، وإن حدود الله هي ما أوجبه - سبحانه - للرجل على زوجته، وكذلك فإن العاقل من يسعى إلى الإصلاح، مرتديًا لأجله أثواب المسامحة، خالغًا أودية استقصاء الحقوق؛ لأنه لا يطلب مطلوبه من العدالة

(١) سورة البقرة: ١٨٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٣) سورة النساء: ١٢٨.

بمقدار ما يبغى مطلوب ربّه من الإحسان.

ومن المضمرة القولية التأكيد على أنه في النفس طباعٌ تبعد صاحبها عن الحقّ؛ كالبخل بما لها، والاستشراق لما لغيرها، ففي الأوّل ثرومٌ كاملٌ حقّها، وفي الثاني ترغّب في التفضّل عليها، ومن صور هذا الإبقاء على عصمة الزوجيّة مع التقوى، وحُسن العشرة، والإغضاء عن بعض جوانب القصور، والعيوب، وهضم النفس عن بلوغ أهوائها المباحة؛ إحسانٌ نُدِبَ المرء إليه، وأنه لا يضيع إحسانٌ محسنٍ مخلصٍ أو تقوى متّقٍ في علاقته الزوجيّة، و(الله) خبيرٌ بما عمله كلُّ نفس، وخبيرٌ ببواعثه وكوامنه.

وهكذا فالخوف هو من الأمراض المعنوية التي تصيب القلب، ولكنها لا تكون مرضاً بل علاجاً قوياً لمن أراد التقرب (الله) سبحانه، ورغب في رضاه عنه، فيكون الخوف هنا سبباً في نجاة صاحبه وفوزه، فهنا له آثاره الجانبية العظيمة، أما إذا كان الخوف المذموم الذي يعني الخوف من إقامة العدل أو الحرب أو الخوف من المصيبة أن تقع فهذا أثر سلبي للخوف، يجعل صاحبه مذعوراً، لا يتوقع خيراً، وتراه يخشى الناس، و(الله) فقط هو الأحق بالخشية، وفي هذا خروج للقلب عن الاعتدال؛ فهو مريض لزم علاجه كي يعود لحياته الصحيحة.

المطلب الثالث: الاختيان أو الخيانة:

أنت الخيانة أو الاختيان في لغة العرب لتشير إلى تضييع الشيء الذي أمر به (الله) أو الارتكاب لشيء مما نهى عنه، فليس ينبغي له أن يكون عدلاً، فالمعنى يرجع إلى العصيان من خلال الانسياق وراء المعصية، وفي هذا خروج عن الاعتدال والصواب^(١)، وأما اصطلاحاً فالخيانة تعني القصد والزيادة في

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خون)، ص ١٢٩٦.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

الخيانة^(١) وأيضًا هي كل ما له اعتبار بالعهد والأمانة^(٢)، والخيانة تعني النقص؛ لأن الخائن ينقص المخون شيئًا مما خانه فيه، وإنك إن خنت فقد أدخلت النقص^(٣) فالمعنيان الاصطلاحي، ومن قبله اللغوي، يدوران في فلك النقصان عن الشيء المعقول، والخروج عن الاعتدال والصحة، ومن كان به هذا فهو مريضٌ حقٌّ له أن يعالج.

وبالنظر في (القرآن الكريم) نجد الخيانة قد ذكرت كثيرًا فنجدها في قوله: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا"^(٤)، وقوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"^(٥) وأيضًا في: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ"^(٦)، وفي مواضع أخرى^(٧)، وكلها تتوعت فيها معاني الخيانة، بين الاعتداء على الآخرين، أو نقض العهود، والخيانة في الدين، وكذلك الخيانة عبر التجسس على الغير، وكلها هنا خروجٌ عن الصحة، والاعتدال، لذا فالخيانة مرضٌ معنوي يصيب صاحبه فيخرجه عن الاعتدال، والصواب، وعن فعل الصحيح من الأمور التي تنفعه.

(١) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٦٤.

(٢) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٤٣٤.

(٣) راجع: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأفاويل في وجوه التأويل، جزء ٢،

الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص ٢٠٢.

(٤) سورة النساء: ١٠٥.

(٥) سورة الأنفال: ٢٧.

(٦) سورة التحريم: ١٠.

(٧) وردت الخيانة أيضًا في سور: البقرة: ٨٧، والنساء: ١٠٧، والمائدة: ١٣، والأنفال:

٥٨، و ٧١، وغافر: ١٩، ويوسف: ٥٢.

ومن المضمرة القولية المختزلة لمرض الخيانة ما نراه في الدعوة إلى عدم خيانة الأوطان، وبينت الآيات أن التلاعب بأمن الأوطان، وما فيها من أناس، ومقدرات هو أمر شنيع، وجُرم عظيم، إنها خيانة كبرى، فأعظم الأمانات هي أمانة الأمة والمجتمع والأرض، وخيانتها طامة كبرى، فقد قال سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" (١)، فالخيانة تكون بالتعاون مع الأعداء، ومناصرتهم على الوطن، أو التجسس عليه، ومن والى عدوه، ونصره على وطنه فهو خائنٌ (لله) وللوطن، و(الله) يبرأ منه، وأتاح الشرع الحنيف، إذا كان الضرر سيقع على المؤمن، أن يوالي المؤمن الكافر من حيث المعاشرة والمخالفة، وصلة الأقارب، رغم اطمئنان القلب بالعداوة والبغضاء (٢)، ولا بد من مخالفة أهل الكفر والعصيان، فمن كان عدوًّا (لله) فهو بلا ريب عدوًّا للمؤمنين، ولا ينقض العجب ممن يبرُّ، وينصر عدوّه على نفسه، وإخوانه! إذا كان أولُّ الضلال الجنوح عن الصراط، فإن موالاته أعداء الله قد تبدأ بالودِّ لهم، والمبالغة في التودُّد إليهم، وخيرٌ للإنسان ألا يفعل في السرِّ ما يستحي منه في العلن، وألا يُخفي عن الناس ما يخشى أن يظهره لهم، فإن ربك عالمٌ بظاهرك وباطنك، وبما تُعلن وتخفي، وهذا ديدنُ المجرمين الحاقدين، فتنَّة المؤمنين المحسنين، ولكنَّ أهل الحقَّ أبدًا في ثبات، ويقين، مهما أوذوا أو شردوا على مدار السنين، وهذه الخيانة للوطن تكون كذلك عبر نقل الأخبار للأعداء (التجسس) على الوطن، وهذا أمر عظيم، فالأعداء لا يحفظون عهدًا، ولا

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) راجع: تفسير الكشاف، الزمخشري، جزء ١، ص ٣٨٠.

يصدقون قولاً، فمن يتعاون معهم خائن لوطنه، مثلهم تماماً، و(الله) سبحانه أمر بالتخلي عن العهد إذا نُقِضَ، وأن يُنْبَذَ العهد إذا عُرِفَت الخيانة فيه، ولكن يجب الإعلام قبلاً بنقضه، وأن تترك علامات تلوح، وتظهر عند هؤلاء الناقضين للعهد، وهناك إذن دعوة لعدم المحاربة للعدو قبل الإعلام له بنقض العهد جزاء نقضه لعده، ولذا فالخائنون لا ينحاز المسلم لهم أبداً، وأيضاً فإن رجعت الفئة الخائنة عما فعلت فلعفو عنهم واجبٌ، ولكن الحذر أوجب.

وهناك الخيانة للدين، وهنا تكون بالخروج على التكاليف الشرعية المفروضة على العباد، وخيانة الأمانة التي حملها الإنسان، وهي العبادة (الله) والامتنال له، واجتتاب نواهيه سرّاً وعلانية، فقال سبحانه: "... وتخونوا أماناتكم....". أي دينكم، ومعه أيضاً خيانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بترك سنته، وهديه النبوي، ومن قبل في حياته كان نقل الأخبار الخاصة به للمشركين واليهود خيانةً له (صلى الله عليه وسلم)، ومن الخيانة للنبي (صلى الله عليه وسلم) النقل الخاطيء لأمر لم يأمر بها هو، وإن الأمانات متعددة، فهناك أمانة المعرفة، والإيمان، والشهادة، ومجاهدة النفس، والدعوة للإيمان، إنها تبليغ المنهج المتكامل للدين في حياة البشر بعد الإيمان (بالله) سبحانه، وهذه أمانة لا يُعْفَى منها صغير، ولا كبيرٌ، فردٌ كان أم جماعة^(١)، ولا شك أن خيانة الدين من أقبح الخيانات؛ لأنها إنكار للنعمة الكبرى، نعمة الشرع الحنيف الذي نظم حياة الإنسان، وغيرها من سائر المخلوقات التي خلقها (الله) سبحانه، لذا فالدعوة لعدم الانحياز للمشركين واضحةٌ؛ فهم خائنون، قال سبحانه: "... ولا تكن للخائنين خصيماً" فالكفر (بالله) ورسوله أمر عظيم، وهو من الخيانات الكبرى للإنسان، ويجب العودة (لله) تعالى، ولطريقه القويم، ولسنة

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جزء ٣، ص ٥٢٣.

رسوله الكريم فوراً.

ومن مضمورات القول في الخيانة للدين التنبيه، والتأكيد على أن الكافر لن يساعده اتصاله بالمؤمن في الشفاعة له إلا إذا عاد لرشده، وترك الكفر، وآمن (بالله) سبحانه، فالقرب من المؤمن لا يشفع لكافر أو مشرك إلا إذا آمن كالمؤمن، وكذلك فالمؤمن لن يضيره اتصاله بالكافر، وأن الأمور الدنيوية لا بأس في مشاركته فيها أحياناً، ولكن حذاري من التعاون معه في معصية (الله) فلن يكون له ملاًد آمن يقيه غضب (الله)، والله مجز كل نفس بما كسبت، وضرب (الله) مثلاً رائعاً لهذا في قصة نبيي (الله) (لوط)، و(نوح) كما في قوله: " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ" (١)، فمن لا يرتضي لنفسه دين (الله) طريقاً فقد خان الدين، ونفسه معاً، وأيضاً فالمسلم لا بد له أن يأتي أوامر (الله) فعلاً، فلا يترك العبادات، ولا يبتعد عما أقره (الله) من معاملات كالصدق، والوفاء، وحفظ العهود، وحفظ أعراض الآخرين، فليست خيانة الدين في الكفر فقط، بل في المعاملات أيضاً، وكل هذه الأمور إنما هي خروج عن ميزان الاعتدال والصواب، فهي مرض معنوي، وهذا الأمر يستنتج من الفهم للمتلقي لمضمورات القول، وما تحمله الآيات من اقتصاد بلاغي يظهر عبر الكلمات التي تكمن فيها المعاني، وبلغت به شأواً عظيماً يمكن المتلقي من اقتناصها، واقتناعه بها (٢) لذا فالمضمورات لها بلاغتها الخاصة.

ومن مضمورات القول لآيات الخيانة التأكيد على شناعة خيانة العرض، ومدى قبح ذلك الجرم، ونعني بالخيانة هنا: الزنا، والقذف للمحصات، أو إتيان

(١) سورة التحريم: ١٠.

(٢) راجع: بلاغة الإيجاز، محمد مشبال، ص ٣٢٠، و ٣٢١.

ما حرم (الله) في أعراض الناس، واعتداء الإنسان على عرض آخر هو من الأمراض التي لا بد من استئصالها من المجتمع؛ فهي تورث عدداً لا بأس به من المصائب أعظمها الاختلاط للأنساب، وضياع الحقوق للأولاد، وفساد المجتمعات، وشيوع البغاء، وكل هذا أدعى لغضب (الله) تعالى، وهنا يضرب القرآن مثلاً بامرأة العزيز لزوجها، كما في قوله: "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ"^(١)، والتي تؤكد أن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم، وأن من اتهم دون دليل ف(الله) كفيل بإظهار برائته، وحمائته من تدنيس العرض، فهو قادر على إبطال الكيد، وفضحه، وفي ذلك دعوة للبعد عن الفواحش، ومنها فاحشة (الزنا) التي لها آثارها المزعجة في انهيار المجتمعات، والانحراف الأخلاقي، والإسلام يريد بناء مجتمع به إعلاء لقيم الحق والجمال والحفاظ على الأنساب، وفي ذلك بناء لمجتمع قوي مترابط يعرف القيم العليا للجمال، والحق، والعدل.

ومن المضمرات القولية المختزلة نجد الخيانة للعهود، وأنها من أمراض القلب المعنوية، والتي لها آثارها المدمرة، وهناك رابط بين الكفر والنقض للعهود، رابط إيجابي طردي، فكلما زاد الكفر زاد النقض للعهد، فتقوى(الله) غائبة، وقد حذر (الله) رسوله، والمؤمنين، من خيانة الخائنين، وأوضح أن هذا العهد دائماً ما يلزم المشركين، فالخيانة، والغدر سمتان تجريان فيهم مجرى الدم منهم، فالآيات الكريمة ذات تأثير بلاغي يأسر القلوب، ويدعو المتلقي للتفكير، وتظهر الآيات أبعاد الخيانة، وكيف أنها تجر الوبال على صاحبها الخائن، وهذا يؤثر بقوة في مشاعر المتلقي، وانفعالاته، وتمتعه، وتدفعه للتفكير، والقراءة الفاحصة التي تظهر له العديد من الأمور التي تنبه عليها

(١) سورة يوسف: ٥٢.

الآيات الكريمة^(١) فالخائنُ للعهد لا أمان له، وهو بخيانتته يحرم نفسه الهداية، ونراه شقيًّا في الدنيا، يعتريه دائماً عدمُ الأمان النفسي، والمجتمع الخائن دائماً ما تعمه الفوضى، وتسوده الأحقادُ والكرهيةُ، ويعرض للهلاك من قبل (الله) سبحانه، ومن أفرادهِ أنفسهم؛ فهم يجلبون له الحروب، والعزلة.

ولا تغيب الخيانة المتعلقة بالجوارح لتعطي عدداً من المضمرات القولية التي تضمنتها الآيات الكريمة، فهناك خيانة العين، والفرج، واليد، وذلك حين نجد العين تنظر لما حرم (الله) تعالى، والفرج حين يأتي الزنا الذي هو فاحشة كبيرة، واليد حين تطغى، وتظلم غيرها، حتى إن النظرة الخفية التي لا تُلاحظ في النظرة الخائنة التي يتسلل بها المتسلل ليطلع على ما حرم الله الاطلاع عليه تعد خيانة للجوارح، كما في قوله: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ"^(٢)، وخيانة اللسان أيضاً، وغيرها من الخيانات.

ومن الخيانة للإنسان لنفسه التي بين جنبيه أن يأتي زوجته في نهار رمضان أو ليله حين كان محرماً على المسلمين إتيانهم بعد الإفطار لنهار رمضان ثم أحلَّ (الله) ذلك الأمر فيما بعد حتى طلوع الفجر، وهذا الأمر يؤكد أن النظر إلى ما حرم (الله) وأوجب البعد عنه، هو من ظلم الإنسان لنفسه، وأن (الله) سبحانه يعلم كل شيء، كبيراً كان أم صغيراً، مضمراً كان أم ظاهراً، وقد أخبر رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن زنا الجوارح حين قال فيما يرويه عنه أبو هريرة: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَصِيبُهُ مِنَ الزَّانِ مَدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زَنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصِدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ

(١) راجع: بلاغة الأشكال الوجيزة، سليمان الطالي، ص ١٩٢.

(٢) سورة غافر: ١٩.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

ويكذبه"^(١)، ولا يخفى مجازية الزنا هنا، وإنما يراد بالزنا هنا خيانة الجوارح لصاحبها عبر خروجها عن الاعتدال، وحيادها عن الطريق الصحيح، فهذا مرض قلبي.

ومن المضمرات القولية أيضًا التنبيه على أهمية عدم التعامل مع الخائنين أو الدفاع عنهم، ففي قوله: "...ولا تكن للخائنين خصيماً"، وإنه لا يدافع عن الخوان الأثيم إلا خائن مثله، فإن من خان غيره خائن لنفسه، فهذا اعتداء على الآخرين، وخيانة لهم، والنهي "لا تكن" لكل المسلمين، وليس للرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) فقط، وكذلك طرح عهد الخائنين أيضًا، والخيانة لا شك أن لها أثرها السيء على الفرد؛ حيث تحرم الهداية، وتوقع عليه الشقاء في الدنيا، ولا شك أن المجتمعات الخائنة تعمها الفوضى، وتسوده الكراهية والأحقاد، وعدم الأمان، وفي ذلك تذكرة لمن أراد بناء مجتمع سليم تسوده المثل العليا، والقيم الجميلة.

المطلب الرابع: الرُّعب:

تعود جذور الرعب للجذر (رعب) الذي يعني الفزع والخوف، نقول: الرُّعب والرُّعب: الفزع والخوف، ورعبه: أفزعه، ورعب: امتلاً^(٢)، واصطلاحًا، فالرعب هو: الفزع^(٣)، وهكذا فالفزع والخوف الشديد اللذين يصاب بهما قلب الإنسان في حالات معينة تجعله يفقد التوجيه الصحيح، فيخرج عن الصواب والاعتدال.

وقد جاء الرعب في القرآن الكريم ليحمل العديد من المضمرات القولية

(١) انظر: الجامع الصحيح المختصر، جزء ٥، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون

الفرج، حديث: ٥٨٨٩، ص ٢٣٠٤ .

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (رعب)، ص ١٦٦٧ .

(٣) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٤٢٩ .

التي تحمل رسائل عديدة، وتوجيهات سديدة لأمر بعينها، وجاء ذكر الرعب في قوله: "سَنُقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ"^(١)، وقوله: "وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا"^(٢)، وقوله: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ"^(٣)، وفي مواضع أخرى^(٤)، وكلها تبين الفزع الشديد الذي يستولي على القلب، فيخرجه عن الصواب، ولذا كان حري بالإنسان أن يترث في فعل الأمور؛ حتى لا يصاب بالرعب فيخرج عن الاعتدال.

ونجد من المضمرة القولية لآيات الرعب هنا التأكيد على أن الرعب يلقيه (الله) سبحانه في قلب العاصي فيخرجه عن الاعتدال، والصحة في فعل الأمور، ويكون ذلك بما كسبت نفس صاحبها، وأنه لن يتوفر الأمن والسكينة في وجود أحد إلا في جوار (الله) تعالى، وكنفه، أما الخوف والرعب والشقاء والضلال، فإنها كائنة بمقدار البعد عنه (سبحانه) وأن الخائف إنما يأوي إلى حيث يأمن ويستريح، لكن مأوى المشركين الخائفين يوم الفزع الأكبر إنما هو إلى حيث العذاب الأليم، وهذا نقيض الحال الذي عليه المؤمن يوم القيامة، وأنه بذلك لا توجد طاعة للكافرين، وأن المؤمنين قد نُهوا عن طاعة الكافرين، وبينت لهم النتائج الوخيمة التي تترتب على طاعتهم ثم دعتهم إلى الاعتصام بدين

(١) سورة آل عمران: ١٥١.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٦.

(٣) سورة الحشر: آية ٢.

(٤) ورد الرعب أيضاً في سور: الأنفال: ١٢، والكهف: ١٨.

(الله)، وبشرتهم بسوء عاقبة أعدائهم في الدنيا والآخرة بما كسبوا.
ومن المضمرات القولية نجد هنا ما حدث للكافرين من تخريب بيوتهم بأيديهم بعد أن قُذِفَ الرعبُ في قلوبهم، فالرعبُ جند من جنود (الله) كما في قوله: "... وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ...." فإنه من اعتمد على مخلوق مثله يعتزُّ به أسلمه (الله) إلى صغاره، وهوانه، ومن اعتمد على قوته وشوكته أزال الله قوته، وكسر شوكته، وأن التوكل على (الله) يجلب النصر، والتمكين، والقوة، ويكسب الإنسان عزة، وكرامة، فمن وثق (بالله) اعتز، وقوي، ومن وثق بغيره لم يكسب إلا الخزي والعار، فالرعب يكون مسلطاً على القلوب الكافرة المغترة بقوتها، ومن حاول تقويض الدين أوالحق فإن الرعب قاصمه بقوة، فهو لا ينفع معه قوة، ولا عتاد، إذا ما ألقاه (الله) تعالى في قلب الإنسان؛ فهو يخرجه عن المعقول.
وتؤكد الآيات أن الرعب حين يستولي على قلب الإنسان أو غيره فإنه يصيبه بالانهيار وعدم الاتزان، ولا سيما في ميدان الحروب، وهذا يكون سبباً للفشل، والهزيمة، لذا فالرعب يقذفه (الله) في قلوب الظالمين؛ لنصرة عباده المظلومين، وقد بين (القرآن الكريم) هذا، في حكايته عن المنافقين يوم (خير) حين خربوا بيوتهم بأيديهم لاستيلاء الرعب على قلوبهم، فبوصلة التوجيه تغيب حين يحضر الرعب، ويستولي على القلب، فتراه يغيب عنه التصرف بعقلانية، وهذا الأمر له تأثيره السلبي على باقي الجوارح الجسدية؛ فتتولد الشكوك، والنزاعات الداخلية وعدم الاستقرار النفسي، والتوتر، ويسري الخوف بقوة لترتد جميع الفرائص الجسدية، فتطفو الهلوس والاضطرابات على سطح القلب، ويتم إرسالها للعقل على شكل رسائل تحذيرية محبطة فيكون الانهيار والخوف.

ومن المضمرات القولية لآيات الرعب دعوة المؤمنين لعدم الخوف من الكافرين، وإن كثروا؛ لأن (الله) ناصر المؤمنين، ولو بعد حين، ومن يفعل ذلك سيفاجأ بعواقب وخيمة، فيجب الاعتصام بالدين، والهدى القويم من لدنه

(سبحانه)، والثقة لا تكون إلا (بالله) سبحانه، فالخطاب القرآني هنا، وإن كان ظاهر آياته الكريمة يدعو لشيء إلا أنها تختزن ما هو أوجب أحياناً عبر علامات، ودلالات موحية يوحى بها النصُّ القرآني فيكون منوالاً يغذي المعنى المتخفي، فالألفاظ الموحية تفي بالغرض والقصد، وهناك دوالٌ تؤدي المعنى هذا، وتلمح إليه، إنه لونٌ تعبيرِيٌّ يغرق المعنى الغائب بدلالات موحية بقوة^(١) يفتن إليها القاريُّ عبر فهم المعطيات الخارجية لها.

المطلب الخامس: الرّهبة:

تعد الرّهبة مرضاً يصيب القلب فيجعله في حالة ترقب وقلق دائمين، وترجع أصوله للجذر (رهب) بمعنى: خاف، ورهب رهباً، ورهباً، ورهب الشياء خافه، والرّهبة: الخوف، والفرع، ونجد الجمع بين الرغبة والرّهبة، وحينها تقدم الرّهبة^(٢)، ورهب أيضاً لها أصلان: أحدهما يدل على الخوف، والآخر على دقة وخفة^(٣)، فالرّهبة إذن تكون بمعنى الخوف والخشية، وإن كانت هناك فروق بينهما، وهي موطنها القلب.

ونجد (القرآن الكريم) قد جاء بالرّهبة كمرض يتعلق بالقلب، يجعل صاحبه فاقداً لصفة الاطمئنان، والتحكم في التفكير، ونراه يتوقع السياء دائماً، وهذا أمر مرّضيٌّ، ومن مواضع ورود الرّهبة نجد قوله: "لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ أَنَّكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ"^(٤)، وقوله: "قَالَ الْفَوَّاءُ فَلَمَّا أَلْقَوْا

(١) راجع: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٢١١.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (رهب)، ص ١٧٤٩.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، جزء ٢، أبو الحسن بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، مادة (رهب)، ص ٤٤٧.

(٤) سورة الحشر: ١٣.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوا لَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ" (١)، وأيضًا في قوله: "وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَجِدْ فَإِنِّي فَارٌّ هَبُون" (٢)، وأيضًا: "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارٌّ هَبُون" (٣)، وغيرها في مواضع أخرى (٤)، ونجد الآيات تضمنت مضمرات قولية تشير لعدد من القضايا المهمة التي تقبع في كلمات الآيات الكريمة، وعلى القاريء أن يفتن إليها بقوة.

ومن المضمرات القولية في آيات الرهبة نجد الدعوة الواضحة للخوف من (الله) سبحانه؛ إنه أحق بالخشية والخوف منه، إنه الخالق، والمقدر لكل شيء، وتدعو لعدم خشية أحد سواه أو الخوف ممن عداه (سبحانه)، وتقيد الآيات التأكيد على أن قلب المؤمن مليء بالخشية (الله) والمعرفة لقدرته (سبحانه) وتضمنت الآيات أيضًا وعدًا ووعدًا معًا؛ وعد بالنعم المتعددة، ووعد لمن لم يطع (الله) ويأتمر بأوامره، فالآيات تضمن ترغيبًا في عبادة (الله)، وترهيبًا من سخطه (سبحانه)، فالآيات الكريمة تلفت النظر للمتلقي لإشارات متكررة تلفت استماعه، وتدعوه في كل حالاتها إلى العبادة والخشية منه (سبحانه)، وتلك الإشارات عبر ذكر ما حدث مع (بنو إسرائيل) من تعدد نعم (الله) تعالى عليهم، ودعوته (سبحانه) غيرهم للاتعاظ مما حدث لهم حينما أنكروها وجحدوا بها (٥)، وإن الرهبة لا تكون إلا من العبد لربه (سبحانه)، فلا يرهب الناس بعضهم البعض مهما فعلوا، ومهما هيا العبد للآخرين من أسباب الخوف

(١) سورة الأعراف: ١١٦.

(٢) سورة النحل: ٥١.

(٣) سورة البقرة: ٤٠.

(٤) وردت الرهبة في القرآن الكريم في سور: الأعراف: ١٥٤، والأنفال: ٦٠، والأنبيا: ٩٠، والقصاص: ٣٢.

(٥) راجع: حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلغظ وتداولية الخطاب، ص ١٢٠، و ١٢١.

فينبغي ألا يخافه الآخرون، فما هو بضارهم شيئاً إلا بإذن (الله)، والرهبنة من غير (الله) كل ما يسببها مصطنعٌ ومزيف، كالتهديد، والسحر، والوعيد، وغير ذلك، وإن إرهاب الناس، وتخويفهم أمر سيء، ويجب أن يبتعد عنه العباد بين بعضهم البعض دون وجه حق.

ومن مضمورات الآيات القولية التأكيدُ على أن الرجوع للحق هو وجه من أوجه الرهبنة (الله) سبحانه، والانصراف عن الفعل الآثم، كما حدث في قصة سيدنا (موسى) والألواح، فيجب الرجوع للصواب والحق، وهذا لا يفعله إلا من كان قلبه يخشى (الله) سبحانه، وهذا يعود لمن كان في قلبه رهبة (الله) وخوف منه، فالخوف يوجب الرجوع للحق في كل الأحوال، أما من لا يخاف (الله) حتى لو كانت الأسباب بين يديه فإنه لا يعود للحق بل يزداد تمادياً في الباطل، ونفوراً من الحق، وابتعاداً عنه، فهو إذن قد استحق العقاب من (الله) سبحانه، وهذا يدعو إلى أن يكون قلب المؤمن عظيم الخوف من (الله) سبحانه من كل ذنب، صغيراً كان أم كبيراً، لأن (الله) سبحانه قد يعذب على القليل، فد(سبحانه) لا يسأل عما يفعل، أما الناس فيُسئَلون عما كانوا يفعلون.

ومن المضمورات القولية أيضاً تظهر الدعوة القوية لوجوب الاستعداد لمحاربة أعداء (الله) ورسوله في أي وقت كان، وأن ما يُنفق جِراء هذا يكافيء به (الله) سبحانه، ما لا كان أم تضحية بالنفس، بل إن (الله) ليخلف على من أنفق أضعاف ما كان قد أنفق، والقوة المطلوبة لمجابهة الأعداء ليست تلك العسكرية فقط، بل هناك البدنية، والعقلية، والفكرية، وكل ما يعين على قتال هؤلاء هو من التضحية في سبيل (الله) سبحانه، وفي الآخرة فالثواب عظيم، وأيضاً تدعو الآيات لتخير الأساليب السياسية التي بها يدفع المؤمنون شر أعدائهم من الكافرين وغيرهم، وكل هذا يدخل في أشكال القوة التي بها يرهب المؤمنون أعداءهم، وعدم تحديد أمر بعينه ليكون وسيلة ردع لهذا الإيذاء هو من بلاغة القرآن العظيم الذي استشرق المستقبل؛ فكل عصر له أدواته الرادعة،

ولذا فالخطاب القرآني واضح في هذا الأمر كما يخبر قوله: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" (١) فلكلِّ زمانٍ عِدَّتُهُ، وقُوَّتُهُ التي تُرهبُ العدو، فالخيل قُوَّةُ الأُمس، والعلم، والصناعة، والثقافة قُوَّةُ اليوم، ولو شاء (الله) لهزم الأعداء دون تدخلٍ من البشر، لكنَّها حكمتُه تعالى في ابتلائه؛ ولذا أمر عباده بالإعداد، ووعده الصابرين، والمنتقين بالإمداد، والنصر.

ومن مضمرات القول أيضًا هنا التدليل على عظم الإنفاق في تسليح الجيوش لقتال الأعداء، والدفاع عن مقدرات الأوطان، وأعراض الناس، وما يملكونه في أوطانهم، لذا جاء الترغيب في ذلك عبر ذكر الإنفاق، وبيان جزائه، وأيضًا هناك حكمة في ابتلاء (الله) سبحانه للشعوب بهذه الحروب، تتمثل في الصبر على البلاء، وعدم الاستسلام للحال التي يكون عليها الناس، فبعد العسر سيأتي اليسر، وأن المؤمنين يجب أن يسالموا من سالمهم ولا يستسلمون لمن ناصبهم العدا، والغدر، فيجب قتال من أراد قتالهم، فلا سلام من دون عزٍّ، ولا حرب من دون ذلٍّ، وفي هذا دعوة للمؤمنين أن يكونوا أقوياء حتى لا تدور عليهم الدوائر.

ومن المضمرات القولية هنا أيضًا التأكيد على وجوب عبادة (الله) وحده، وأن ذلك أمرٌ يدعو الإنسان للخوف منه (سبحانه) والامتثال لأوامره، وتجنب نواهيه، فكل ما حولنا مملوك (لله) تعالى وحده، فلا يجب أن نشرك معه أحدًا في حكمه؛ فهو الواحد الأحد، الأحق بالعبادة، والامتثال له، والخوف لا يكون إلا منه، وتخويف الحاضر أبلغ من تخويف الغائب، لذا فهناك قوله: "فإياي فارهبون" والرهبه لا تكون في العبادات فقط، بل في المعاملات بأسرها، وأيضًا

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

هناك النهي عن الشرك، والتأكيد على ذلك، وأن الإيمان (بالله) وحده هو الواجب، وما دون ذلك عصيان له، ومن أتى ذلك فليُنذر نفسه بالهلاك في الدنيا، والخسران في الآخرة.

ومن مضمرات القول هنا أيضاً الدعوة للتخلص من الخوف عند الإنسان، وأن (الله) سبحانه هو المستحق فقط للخوف، والرغبة، ومع ذلك، فهو (سبحانه) أكثر رحمةً بالإنسان، وأن الرغبة حين تكون من (الله) فلا تولد تشنئاً أو اضطراباً، أما الرغبة من غيره فبلى، فيجب أن يتجلد الإنسان، ويضبط نفسه، ويتحكم في انفعالاته وخلجاته النفسية؛ حتى لا يقع تحت طائلة الخوف غير المبرر، ودائماً فالأعداء يرهيون من كان على حق وصواب، لأنهم قد بلغ بهم الخور، والجبن مبلغاً عظيماً، والكافر مهما تظاهر بالقوة، ورباطة الجأش أمام المؤمن فإنه يخشاه؛ لعقيدته واعتداله، والمنافقون نجدهم يخشون الناس أكثر من خشيتهم (الله) سبحانه؛ وهذا لجهلهم وضعفهم، وهذا الأمر ظاهر عليهم، وواضح مهما حاولوا إخفاءه، وكل هذا مرضٌ معنوي في حاجة لعلاج.

المطلب السادس: الريبة:

الريبة تعني الشك والتوجس من شيء غاب كنهه عن الإنسان، والريب مشتق من الجذر (ريب) الذي يحمل معاني ما يمت لحوادث الزمان، وصروفه، ودلالة الريب مرتبطةً بالمكروه، وقد جاء في لسان العرب أن الريبة هي: الشك، والظن، والتهمة، والريبة بالكسر هي ما رابك من أمرٍ، وأرابني: أي شك، وريب الدهر صروفه وحوادثه، وريب المنون: حوادث الدهر^(١) واصطلاحاً، فالريبة: هي شك مع تهمة مصحوبة بقلق النفس واضطرابها، والشك المريب هو التردد الموقع في القلب الاضطراب، وقال الرازي: "هو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (ريب)، ص ١٧٨٧، و ١٧٨٨.

النفى والإثبات^(١)، فالشك في الأمور دون سبب، والظن السيء بها يولدان مرضاً قلبياً يلزم صاحبه، فيصيبه بالنفور من الأشياء دون سبب موجب لهذا، ويسوقه للتشاؤم الذي قد يقتل صاحبه يوماً.

وجاء هذا المرض المعنوي الذي يصيب القلب في (القرآن الكريم) في مواضع عدّة، منها في قوله: "ذَلِكَ الْكُتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"^(٢)، وقوله: " رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ"^(٣) وقوله: " إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ"^(٤)، وقوله: " أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا"^(٥)، وأيضاً في: " أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ"^(٦)، وفي مواضع أخرى^(٧)، وكل الآيات الكريمات أتى فيها الريب ليحمل معاني الشك، وعدم التصديق، وذلك إما لأمر حثت عليها العقيدة، كيوم القيامة، وما به، وكذلك الموت، وكذلك ارتيابهم في (القرآن الكريم) وهذا الريب يكون عند المشركين والمنافقين، وإما الريب في مواضع أخرى للتأكيد على الحق المبين الذي ارتاب فيه المشككون،

(١) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، جزء ٨، ص ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) سورة آل عمران: ٩.

(٤) سورة التوبة: ٤٥.

(٥) سورة الإسراء: ٩٩.

(٦) سورة الطور: ٣٠.

(٧) وردت الريبة في سور: البقرة: ٢٣، وسورة آل عمران: ٢٥، وسورة النساء: ٨٧، وسورة

الأنعام: ١٢، وسورة يونس: ٣٧، وسورة السجدة: ٢، وسورة الجاثية: ٢٦، ٣٢، وسورة

غافر: ٥٩، وسورة الكهف: ٢١، وسورة غافر: ٥٩، وسورة الحج: ٥، و٧.

والمنكرون له من الكفار .

ومن مضمورات القول في آيات الريبة التأكيد على نفي الريب عن (القرآن الكريم) وعن يوم القيامة، وعن الموت؛ فكلها أمور واقعة لا محالة؛ فما أرفع مكانة القرآن، وأنه بعيد عن الشبهات، والمشككين فيه، وتبين الآيات أنه كلما كان العبد تقيًا كلما زاد في التقرب من (الله) سبحانه، وأن الريب منفيٌّ عن (القرآن)؛ كونه من عند (الله) سبحانه، فهو الكتاب الوحيد الصادق في كلماته، وكذلك فإنه ليس محلاً لأن يرتاب عاقل أو منصف في أنه منزل من عند (الله)، وأنه هداية، وإرشادٌ للمتقين الذين يجتنبون كل مكروه من قول أو فعل، وأيضاً تؤكد الآيات على نفي الريب عن (القرآن) في كونه منزلاً على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأنه صادق فيما بلغه من (القرآن) ولم يقل كلاماً من عنده، كما ادّعى المشركون، وأيضاً تؤكد الآيات على ضعف كلام المشركين عن القرآن، وأن أقصى ما يفعلونه هو الريب الضعيف، فكلامهم خاطيء؛ فالدلائل واضحة، وتؤكد على أن القرآن كلام (الله) سبحانه، وأن ارتيابهم هو من باب الحقد، والعناد لما أمر به (سبحانه) وفي هذا الأمر أيضاً توبيخ قوي لهؤلاء المشككين في (القرآن)، وتنزيه للقرآن عن أن يكون في موضع شكٍ فيه من أحدٍ.

وتنبه المضمورات القولية أيضاً على أنه ليس من شأن هذا الكتاب في إعجازه، وهدايته أن يكون من عند غير (الله)، لأن غيره - سبحانه - لا يقدر على ذلك، ولكن من شأنه أن يكون مؤيداً للكتب السماوية السابقة فيما دعت إليه من إخلاص العبودية لله -تبارك وتعالى- ومن اتباع لرسله، وأن يكون مفصلاً، وموضحاً لما اشتملت عليه هذه الكتب من تشريعات، وآداب، وأحكام، كما تؤكد الآية: " وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١)، وأيضًا فإن (القرآن الكريم) ليس في تنزيله ريب، ولا شك، بل هو صدقٌ وحق من رب العالمين، وأنه لم يأتِ إلا لمصلحة العباد، وتنظيم حياتهم، وإيضاح ما يقوم حياتهم، ويكسبهم آخرتهم، كما نجده في قوله: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"^(٢).

ومن مضمرات القول في آيات الريب ما نجده في قوله: "لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"^(٣)، والذي يؤكد شأن الماكرين في كل زمان، ومكان، إنهم يعيشون طول حياتهم في فزع وقلق، وخوف من أن ينكشف مكرهم، ويظهر خداعهم، وإن الشر لا يزيد صاحبه إلا هلاكًا؛ فأعمال الباطل لا تزال تزيد صاحبها ريبًا في الحق حتى تُردِّيه في أودية الضلال السحيقة، وتؤكد الآيات أن (الله) سبحانه عليمٌ بأعمال خلقه، وأنه يجزيهم على قدرها، والمنافقون دائمًا يبطنون أكثر مما يظهرون، وأيضًا تدعو الآيات إلى أن يكون الخير هو القصد في بناء الأشياء، وأن البناء يشد ويقوى متى بُني على صواب.

ومن مضمرات القول في آيات الريب نفى الريب عن (يوم القيامة)، والتأكيد على أنه واقع لا محالة، فلا يعقل الشك في يوم أكده (الله) تعالى، فنجد قوله: "فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"^(٤)، وقوله: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ"^٥

(١) سورة يونس: ٣٧.

(٢) سورة السجدة: ٢.

(٣) سورة التوبة: ١١٠.

(٤) سورة آل عمران: ٢٥.

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا^(١)، ويجب على المؤمن تدبر كلام ربّه ليزداد يقيناً بعظم صدقه؛ لأنه لا كلام أكثر مطابقة للواقع من كلامه، ولا خطاب أبلغ صدقاً من خطابه، سبحانه، فيجد أن يوم القيامة يوم منفي عنه مجرد الريب، وأنه فيه تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، ومن اغتر بشيء في دنياه فهو والعدم سواءً يوم القيامة، ولن ينجي الإنسان إلا رحمة (الله)، وعمله الصالح، فهنا لن ينفع مال، ولا بنون، والآية هنا بها توبيخ شديد لمن يعرض عن الحق، ويوم القيامة سيكون هؤلاء المنكرون في حال يرثى لها، ولن تنفعهم شفاعاة، وتحذر الآيات كذلك من الاغترار بالأمانى الباطلة، وتدعو لعدم الركون إلى الأحلام الفارغة! إن الدنيا ليست تستحق ثناءً عليها، وأن الإنسان يجب أن يعمل لآخرته، ويستعد ليوم مشهود عاصب على الجميع، باستثناء المؤمنين حقاً.

ونجد في الآيات هنا التأكيد على المعنى نفسه في قوله: "قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"^(٢)، والذي يؤكد وقوع يوم القيامة، وهو (سبحانه) يؤكد للجميع أنه لن يجمعهم يوم القيامة ليعذبهم جميعاً، وإنما يجمعهم لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء، وأنه (سبحانه) يجمع الخلق كلهم في صعيد واحد؛ تشريعاً لأهل طاعته بين الخلائق بثوابه، وإذلالاً لأهل معصيته بعقابه، وهم أحق بذلك جراً ما فعلوه.

ونجد من المضمرة القولية في تأكيد يوم القيامة ما ينص عليه قوله: " إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ"^(٣) لتؤكد أن المؤمنين الصادقين لا يتهرّبون من الجهاد، وهم يرون

(١) سورة النساء: ٨٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٢.

(٣) سورة التوبة: ٤٥.

بذل النفس والمال من أجله شيئاً جيداً يجب فعله، وأن الحياة هي التي تكون في الاستشهاد والجهاد، وأن هناك بعض المسالك الخبيثة التي كان يتبعها المنافقون لمحاربة الدعوة الإسلامية، وتؤكد إحباط (الله) سبحانه لأعمالهم، ودحر كيدهم وسعيهم، ونجد الأمر نفسه في قوله: "وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنِّيهِمْ أَمْرَهُمْ... (١)"، والتي تظهر كم (الله) تعالى في تصاريح الأمور من حكم، وكم له في ثنانيا أقداره من الطاف خفيّة، وكرم! فخيرٌ للمسلمين أن يردّوا ما يتنازعون فيه إلى (الله) تعالى، ولنا في قصة (أصحاب الكهف) آية ظاهرة، فالساعة، أى القيامة، آتية لا ريب فيها، ولا شك في حصولها، فإن من شاهد أهل الكهف، وعرف أحوالهم، أيقن بذلك ف(الله) قادر على إعادة الحياة إلى الموتى، وعلى بعث الناس يوم القيامة للحساب، والجزاء، وكذلك الأمر في قوله: "يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّنُبَيِّنَ لَكُمْ... (٢)" فهنا لا يتسرب إلى نفس العاقل شك في البعث، وقد جاءت الدلائل المستفيضة عليه في الأنفس والآفاق؟! و(الله) يبيّن لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وإبداع خلقه، وسعة رحمته، فما أعظمه من بيان! فإن كان الرحم قرار النطفة، والتراب قرار الجثة، فإن من أخرج النطفة طفلاً لقادر على أن يخرج رميم الجثة خلقاً آخر يوم الحشر، فالإنسان تحت تصرف (الله) تعالى، وعنايته؛ يعلمه ما يشاء، ويجري عليه المقادير كيفما شاء سبحانه، ومثلها أيضاً ما جاء في: "الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (٣)، وقوله: "فَلِإِنَّ اللَّهَ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ

(١) سورة الكهف: ٢١.

(٢) سورة الحج: ٥.

(٣) سورة الشورى: ١٧.

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (١)،
وقوله: " وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ
إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ" (٢).

ومن مضمرات القول في آيات الريب نفي الريب عن الموت، تلك الآية
اليومية في كل الأمور، إنها نهاية الشيء، ودليل قدرة (الله) على إنهاء حياة
الأشياء، إنساناً كان أم حيواناً كما في قوله: " أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى
الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً" (٣)، فكل خلق (الله) أجل لا ريب فيه، فمن ارتاب به في
الدنيا رأى منه في الآخرة ما يسوءه، ومن تهياً له عاملاً مصدقاً رأى منه ما
يسرّه، فالموت حقيقة لا ينكرها جاحد، مؤمن كان أم كافر حتى، ووضوح
الآيات، وتأكيدها لإتيان الأجل حسب مواعده أمر مؤكد يدعو العاقل إلى
المبادرة إلى الإيمان، والإخلاص في العمل، فما تدري نفس متى يحين أجلها،
فليكن المرء على أهبة الاستعداد للرحيل، وفي قوله: " أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ
بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ" (٤) تأكيد للموت الذي يقع على الجميع حتى الأنبياء، وإن كان
الفجار المكذبون يتربصون هلاك الدعاة والمصلحين فإن الدعاة ليتربصون كذلك
أن يحل بالمكذبين وعيدُ الله، وتهديده، وشتان بين ترقب وترقب، وهذا الأمر
حادث لا محالة، وقد أفلح من اتقى، وصدق بالحسنى، وخاب من أتى النقيض.

(١) سورة الجاثية: ٢٦.

(٢) سورة الجاثية: ٣٢.

(٣) سورة الإسراء: ٩٩.

(٤) سورة الطور: ٣٠.

المطلب السابع: النفاق:

لا شك أن النفاق من أخطر الأمراض التي تصيب القلب، وتعود جذوره إلى الأصل (نفاق) هنا: يدلُّ على إخفاء شيءٍ، وإغماضه، ومن ذلك النفاقُ، فأصله إظهارُ شيءٍ وكنتمُ غيره وستره، والنفاق هو الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من آخر، وقيل: إنَّه مأخوذٌ من نفاقِ اليربوع^(١)، واصطلاحًا: هو إظهار الإيمان باللسان، وكنمان الكفر بالقلب^(٢) فهنا النفاق يظهر ازدواجية عليها المرء؛ فقلبه لا يوافق لسانه، وهذا أمر يخرج الانسان عن حد الصواب، والاعتدال، فهو مريضٌ يجب معالجته.

وورد النفاق في (القرآن الكريم) ليؤكد خطورة هذا المرض الذي كثر، وانتشر منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا، ومن مواضع ذكر النفاق قوله: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا"^(٣)، وقوله: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا"^(٤)، وقوله: "الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"^(٥)، وأيضًا في قوله: "وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ"^(٦)،

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (نفاق)، ص ٤٥٠٩.

(٢) انظر: التعريفات، على بن محمد الجرجاني، ص ٣١١.

(٣) سورة النساء: ٦١.

(٤) سورة النساء: ١٤٥.

(٥) سورة التوبة: ٦٧.

(٦) سورة العنكبوت: ١١.

وفي مواضع أخرى^(١)، وكلها تؤكد وجود هذا المرض عند الكافرين، وأنه، للأسف، انتشر بين بعض المسلمين، وهذا أمر خطير؛ فهو يخرجهم عن الصحة والاعتدال، ويجعلهم في غضب من (الله) سبحانه.

ومن المضمرة القولية لآيات النفاق ما نجده من التأكيد على وجود نوعين من النفاق: أكبر، ويتعلق بالعقيدة، ويخرج صاحبه من الإسلام، أو هو مرادف للكفر، وهنا يكون إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، والنفاق الأصغر، وهو النفاق العملي الذي يتعلق بالمعاملات، وإظهار المرء عكس ما يبطن، وهو الذي يضحى صاحبه مريضاً، يعاني من ازدواجية ليس لها حل إلا بالعودة إلى المنهج الرباني والشرع الحنيف، ومن مضمرة القول في النفاق بمعنى الكفر نجد التأكيد على صد المنافقين لما أتى به (الله) سبحانه، وما حث عليه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنهم ينفرون من حكم (الله) ولا يحتكمون إلا إلى أهوائهم، وكفرهم، وما هذا إلا لعنادهم، وحقدهم الذي هو مرضٌ لديهم، لا ينفكون مصابين به، فتدعو الآيات للحذر من المنافقين، وتعطي علامةً على نفاقهم، فكل من يأبى حكم (الله) و(رسوله) هو من زمرة المنافقين، وأيضاً فمن المضمرة القولية نجد الأمر الإلهي من (الله) تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) وللمؤمنين بجهاد الكفار، والمنافقين والغلاة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه للمؤمنين، وللذين يعرفون (الله) سبحانه، وتؤكد على أن الكفار في الدرك الأسفل من نار جهنم، ومن تبعهم فله المصير نفسه، ولبئس المصير، والقرار.

(١) ورد الذكر للمنافقين في سور: النساء: ٨٨، و١٣٨، و١٤٠، و١٤٢، وسورة التوبة:

٦٨، و٧٣، وسورة الأحزاب: ١، و٢٤، و٤٨، و٧٣، وسورة الفتح: ٦، وسورة المنافقون:

١، و٧، و٨، وسورة التحريم: ٩.

ومن المضمرات القولية في آيات النفاق المحيطة بمعاني الكفر التأكيد على أن المنافق إذا لم يظهر الذي يبطنه، والذي به مخالفة للدين فأظهر ما يستحسن في الإسلام، فهو ظاهريًا مسلمًا، وإن كان على غير ذلك، و(الله) لم يأمر بشق القلوب عن الناس، والنفاق هنا يكون مرده للقلب، والقلب لا يطلع عليه إلا مقلب القلوب، سبحانه، ولا بد من الفطنة إلى خبثهم، ومكرهم، ودناءة صفاتهم، لذا فالآيات تدعو إلى الحذر منهم، وتحذر من حسن الظن بهم، ولهذا فعلى المؤمنين أن يتركوا الخلاف في شأنهم، وأن يتفقوا جميعًا على أن المنافقين أناس بعيدون عن الحق والإيمان، فلا يطمئن مؤمنٌ إليهم، وحينئذٍ فالحيطة واجبة عليه حال التعامل معهم؛ فهم لا يبطنون إلا الشر، والغل لغير بني جلدتهم.

ومن المضمرات القولية ما تبينه الآيات من أن المنافق الذي يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفار بقوله: أنا كافر، لا جزاء لازدواجيته هذه إلا العذاب الأليم، وأنهم إذا كانوا يتهكمون بالإسلام، وأهله ف(الله) سبحانه يبشرهم بعذاب أليم على سبيل التهكم بهم، والاستهزاء بعقولهم جراء ما يفعلون، كما يبينه قوله: "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"^(١) ومن يخفي الجحود، والعصيان له في الآخرة ما هو أشدُّ وأدهى، ومن يكيد للإسلام له عذاب أليم، وإن تأخر عنه، وأن نفاقه لا محالة فاضحٌ مهما بالغ في إخفاء حقيقته، وأن المنافق دائمًا تفضحه أفعاله، وأكد رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) هذا في قوله: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتمن خان، وإذا

(١) سورة النساء: ١٣٨.

حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" تابعه شعبة عن الأعمش^(١).
ومن المضمرة القولية أيضاً، ما نجده في قوله: "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ
يُخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي
جَهَنَّمَ جَمِيعًا"^(٢) من دعوة واضحة للدفاع عن حرمة دين (الله) تعالى، ووجوب
البعد عن الاستهزاء أو السخرية من أوامره (سبحانه)، وضرورة البعد عن
المنافقين؛ كونهم أكثر من يفعل هذا الأمر النكير، فهم يظهرون عكس ما
يظنون لما جاء به (الله) وأمر رسوله بتبليغه، و(الله) وعد المنافين نار جهنم،
فقال: "وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا..."^(٣)، فمهما
أظهر المنافقون من إسلام زائف فإنهم أشد شرًا ممن يكفر صراحة، لذا فمهما
طال بهم الأمد فموعدهم النار، وبئس القرار، إنهم يهناون بحياة زائفة.

ومن المضمرة القولية لآيات (القرآن الكريم) التي تبين النفاق الأكبر
الدعوة إلى الإيمان الحق ب(الله) فهو يعلم المنافقين علماً كافياً، ولا يخفى عليه
شيء من حركاتهم، وسكناتهم، وسيجازيهم بما يستحقون من عقاب، فعلى
المؤمن أن يكون مؤمناً قلباً وقالياً، ولأن (الله) سبحانه يؤكد وجوب البعد عنهم،
فقد أقر هذا في: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا"^(٤)، وهذا لأنهم لا ينصحون مؤمناً بخير أبداً، لذا وجب ألا يتبع
المؤمن أهواءهم، وليحذر من لحن قولهم، أما الذي يُسْتَمَعُ له فهو (الله) سبحانه؛

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص ١٧،

(٢) سورة النساء: ١٤٠.

(٣) سورة التوبة: ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب: ١.

مضمرات القول المختزلة في خطاب (القرآن) عن الأمراض المعنوية: رؤية تحليلية موجزة.

فهو عليم حكيم يعلم الصواب فيأمر باتباعه، والسوء فيأمر باجتنابه، ومن صدق أوامره فاتبعها ف(الله) سبحانه لن يرده خائباً إن دعاه، حتى إن تعذيب المنافقين عُلق على مشيئته (سبحانه)، فهو واسع المغفرة جل في علاه. وتؤكد المضمرات القولية على أن (الله) سبحانه ناصر دينه، وحامي نبيه، والمؤمنين، وأنه لن يخذلهم أبداً، مهما حل بهم من ابتلاء، وبلاء، ومن ظن أو أراد بالإسلام شراً سيهلكه ما يفعله، وسيكون تدميره في تدبيره، فإن (الله) تعالى سوف يخزيهم، "وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ..."^(١) وأيضاً فإن (الله) سبحانه، يؤكد كذبهم، كما قال: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كُذِّبُونَ"^(٢)، فما أكثر المنافقين الذين يظهرون إسلامهم الزائف، والآية تضر قولاً مختزلاً مفاده الدعوة للحذر منهم؛ إنهم يريدون إفساد المؤمنين، ويبغون أن يضعفوا من اتحادهم وتربطهم علاوة على إرادتهم تشتيت كل ما اجتمع على طاعة (الله) سبحانه، ولذا لا غرابة أن نجدهم يسعون دائماً للخراب، فالحذر الحذر منهم.

ولا ينضب ماء المضمرات القولية الذي لا ينفك منبجساً من عيون الآيات يروي عطش المتلقي لها فيبصر روعتها فيما أضمرته، ومن هذا الأمر دعوة الآيات للإنفاق، وعدم الاستماع لهؤلاء المنافقين البخلاء، إذا ما أرادوا إرجاف المؤمنين، وحضهم على البخل، وعدم الإنفاق، إنهم يحثون على المنع للإنفاق في سبيل (الله) ووجوه الخير، وهم أحرص الناس على الحياة الدنيا يظنونها في الطعام، والشراب، والشهوات، وأن هذا هو الأهم عندهم، ولا أهمية

(١) سورة الفتح: ٦.

(٢) سورة المنافقون: ١.

للاخرة، لذا ف(الله) تعالى يبين خطأ هذا مؤكداً أنهم لا يفقهون، بقوله: "هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَيَلَّيْكَ اللَّهُ خَرَائِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ"^(١)، ولذا فجهادهم واجب بالكلمة المقنعة، والحجة الظاهرة عليهم يعودون لرشدهم، و(الله) تعالى يأمرنا بهذا فيقول: "يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُوهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"^(٢)، فيدعونا من خلالها إلى مجاهدة الكفار، والمنافقين بالحسنى، وإقامة الحجة، والبرهان عليهم بل وجهادهم بالسيف إذا ما أرادوا شرًا بالمؤمنين، وأوضحت الآيات أن من الجهاد القوي جهاد اللسان، والقلم، والمال، وأن دفع الباطل لا بد منه، وأن أساليب دفعه، وكشف عواره متنوعة، وتبين الآيات خطأ ما يدعو إليه المنافقون، وأن الجهاد، وصد الأعداء هو واجب أمر به (الله) سبحانه، ولا بد منه.

أما النفاق الأصغر فنراه ماثلاً في: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة، والعدر بالعهد، وكالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وإظهار المودة للغير، والقيام له بالخدمة مع إضمار عكسه في النفس، وهذه أمور مذمومة يجب على المؤمن الابتعاد عنها حتى لا يضحى منافقاً.

(١) سورة المنافقون: ٧.

(٢) سورة التحريم: ٩.

نتائج البحث:

- ١- المضمرات القولية المختزلة هي استتطاق الخطاب، وتفريغ البنية الداخلية لما احتوى عليه السبك المنتظم لكلماته في إيضاح بنية قولية لا تنفك مرتبطة بالبنية السطحية الظاهرية من القول.
- ٢- المرض المعنوي لا يقل أهمية عن نظيره الجسدي الظاهر، لكنه أحياناً يكون أخطر منه، لذا وجب علاجه.
- ٣- جاءت أمراض النفس المعنوية متمثلة في الإسراف، وحمل مضمرات قولية منها النهي عن الإسراف في المأكل، والمشرب، والمعاصي، وأكل مال اليتيم، وتأكيد أن الإنفاق الكثير في سبيل (الله) ليس إسرافاً.
- ٤- أكدت مضمرات آيات البخل أن البخلاء يبخلون على بعضهم حتى في عباداتهم، وأن المنافقين يدعون غيرهم للبخل بل يتواصلون به، وأن البخيل حاقد على المنفق لإنفاقه، والبخل وسيلة هدامة للنفس والمجتمع أيضاً.
- ٥- مضمرات القول في آيات البهتان نصت على البعد عن الخوض في أعراض الناس، وقبح الغيبة، والنميمة، وأنهما من البهتان، وأيضاً فسلب حقوق الآخرين يعد بهتاناً عظيماً، ويأتي البهتان أحياناً ليعني فاحشة الزنا.
- ٦- دعت مضمرات آيات الجهل القولية إلى وجوب التثبت من الخبر قبل الجهر به، ووجوب الثقة في وعد (الله) سبحانه، وإن الجهل يؤدي لسوء الظن ب(الله) سبحانه، وجميع الأشياء، وتضمر الآيات دعوة للعفاف، والقناعة، وأن الجهل يؤدي للشرك (بالله)، ويجب العمل بحكم (الله) ورسوله، وإن الجهل يورثُ النقمة، والفسق، والحمق.
- ٧- مضمرات آيات الخداع القولية أكدت الخداع الدائم للمنافقين في كل العصور، ووجوب التزام النفس بالنقاء والوضوح في تعاملاتها، والمخادع لا يخلق بخداعه مستقبلاً له بل فساداً، والخبيثة هي نتيجة سعي المخادعين.

٨- دعت مضمورات القول لآيات الخبث إلى طاعة (الله) تعالى عبر اجتناب نواهيه، وإتيان أوامره، والخبث يكون في الكلمة، والفعل، وإن الكفر أكبر الخبائث، ويجب التخلص من كل شيء حرام، وأكل مال اليتيم خبث كبير.

٩- أكدت مضمورات القول لآيات الخرص على كذب المشركين في ادعائهم أن (الله) صرفهم عن الإيمان، وأن الخرص يصاحبهم دائماً لسوء ظنهم ب(الله) تعالى، وأن الكذب عندهم يستند للأهواء، والنفس المريضة التي دائماً تأمرهم به، ودعت الآيات لتوخي الصدق في القول، والفعل، وأن الكذب يكون لفساد أخلاقي، وحقق دفين.

١٠- أوضحت مضمورات القول لآيات الذهول عظم يوم القيامة حتى إنه لتترك الأم ابنها، وتضع الحامل حملها قبل تمامه، وأن زلزلة الساعة تُرى علاوة على السماع بها، وأن الرعب سيشمل الجميع دون استثناء.

١١- آيات السحت أتت مضمراتها القولية لتؤكد عظم افتراء الباطل على (الله) سبحانه، وحذرت من أكلي السحت، وأكدت أن الإثم دائماً يقترن بالسحت، ودعت إلى عدم أكل الأموال بالباطل بين الناس؛ فهذا سحت، وأن اليهود دأبهم السحت، ومن قبل رُشاً فهي من السحت، ودعت الآيات لعدم طاعة من يأكل السحت أو يتعامل به.

١٢- بينت مضمورات القول في آيات السحر استخدامه منذ القدم لإلباس الحق بالباطل، وأن الشياطين عملوا بالسحر، وكذلك الأدميين، وأن من يلجأ للسحر ليس سويًا نفسيًا، لذا يلجأ له الكفار، والساحر مريضٌ حاقد على غيره، والسحر لا يكون إلا في المجتمعات المضطربة، والمتخلفة، وكذب السحرة في ادعائهم على (الله) ورسله.

١٣- مضمورات القول في آيات السرقة حثت على عدم أخذ أموال الناس بسرقتها؛ فهذا فساد، والنقصان في العبادة يعدُّ سرقةً، وتطبيق حد السرقة صوراً للمجتمعات، وأن الابتلاءات امتحان من (الله)، والشهادة في السرقة تكون عن وعي، ورؤية معاً، والعقاب على قدره الذنب، والسرقة

بكل صورها صاحبها مريضٌ وجَبَ علاجُهُ.

١٤- السفهُ حثت مضمرات آياته القولية على عدم طاعة السفهاء، وإن كان لهم الحقُّ في شيء، وجواز الحجر على السفيه؛ صيانة لحقوقه، وعدم الأخذ برأيه، والجهل توأم السفه، والكذب، والجهل بالدين يسبب عدم رؤيته بعين صائبة، وأن العناد، والانصراف عن الحق هما دأبُ السفيه، ويجب على العاقل رعاية السفيه؛ رحمةً به.

١٥- جاءت آيات العتو لتضمّر أقوالاً منها التأكيد على سوء خاتمة العاتين، ودائماً العاتي في استكبار وضلال، والكفر أشد أنواع العتو، فالكافر متكبر دوماً، وتدعو لعدم العتو لامتلاك مال أو قوة أو علم؛ فهذا نهايته الهلاك الأكيد، والصامت عن الحق تماماً كالفاعل للإثم والمنكر؛ فكلاهما في صفٍ واحدٍ ليس لهما إلا الهلاك المبين.

١٦- البغضُ مرض معنوي يؤدي للكفر، والنفاق؛ لبغض المريض به للحق، والعدل، وأكثر البغض يكون بين المشركين، والمنافقين بل إنهم يعملون على نشره في المجتمعات، ودعت الآيات لعدم الاستماع للمبغضين، وبينت أن الخمر، والميسر من أسباب شيوع البغض بين الناس، وتتهار المجتمعات أحياناً بسببهما، ويجب على المؤمنين عدم اطلاع المشركين على أسرارهم، وأكثر المبغضين للإسلام، والمؤمنين هم المشركون، والكافرون.

١٧- الخوف كانت مضمرات آياته القولية تصب في بيان نوعي الخوف: المحمود، والمذموم، والخوف يورث القلق إلا الخوف من (الله) يورث الطمأنينة، ويرسخ لمبدأ الثواب والعقاب، والخوف رأس الطاعات، والخوف يكون عند الملائكة، وجميع المخلوقات، ووجوب الثقة في لطف (الله) وإن الخوف منه يورث العدل، والحق.

١٨- الخيانة تكون للنفس والوطن عبر التجسس، ومساعدة الأعداء على الوطن، ويُنقضُ العهدُ إذا عُرِفَت الخيانةُ له، وخيانة الدين تكون بالخروج على تكاليف العبادة، والكافر الخائن لن ينفعه اتصاله بالمؤمن التقى،

والمؤمن التقي لن يضيره اتصاله بالكافر الخائن، وخيانة العريض تكون عبر الزنا، وقذف المحصنات، وخيانة الجوارح بسيرها فيما حرم (الله)، والخيانة دأب المشركين، وتدعو الآيات لعدم التعامل مع الخائنين أو حتى الدفاع عنهم.

١٩- الرعب جند من جنود (الله) لا ينفع معه شيء، ويلقيه (الله) في قلب العاصي، ولا طاعة للكافرين على المؤمنين، والرعب لا يقذف إلا في الظالمين، وتدعو الآيات لعدم الخوف من الكافرين، وإن كثروا؛ فهم جبناء.

٢٠- الرهبة لا تكون إلا من (الله) سبحانه، وتكون في التوحيد له، والعبادات، والمعاملات بين الناس، والمشركون يخشون الناس ولا يخشون (الله)، والرجوع للحق وجه للرهبة من (الله)، وتدعو الآيات للاستعداد الدائم لمحاربة أعداء (الله) ورسوله، وأن يصبح المؤمنون أقوياء، والإنفاق في سبيل (الله) جزاؤه عظيم ولا يكون في الجهاد الحربي فقط، فالإنفاق في تنمية القوة البدنية، والفكرية والمعرفية لا تقل عن نظيرتها العسكرية.

٢١- الريبة دعت آياتها إلى نفي الشك عن (القرآن) في كونه من عند (الله)، وأنه نزل على نبيه (محمد)، وإن الماكرون حياتهم قلقة مضطربة، وتتفي الآيات الريب عن يوم القيامة، وعن الموت، وأظهرت أن المؤمن الصادق لا يتأخر عن نداء الجهاد في سبيل (الله) تعالى، وأنه لا بد أن يسرع المؤمن في الطاعات.

٢٢- وضحت مضمرة آيات النفاق أن النفاق الأكبر يكون في الخروج عن العقيدة، والإيمان، والأصغر يكون في المعاملات، وأن المنافقين دائماً يصدون عن الحق، وتدعو للحرص، والحذر منهم، والمنافق أحياناً يكون مسلماً قلباً، وليس قلبياً، وإنه لتفضحه أفعاله، وهو يدعو للبخل، وعدم الإنفاق خشية الفقر، وهذا أمر سيء.

قائمة بمصادر البحث ومراجعته:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: عبد الكريم خليفة، ونصرت عبد الرحمن، وآخرين، جزء ٢، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة.
- ٣- أحكام القرآن، جزء ١، الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م.
- ٤- إحياء علوم الدين، جزء ١، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار العلوم، د.ت، د.ط.
- ٥- الاختزال في اللغة، هدية فايز الرشيد، إشراف: عادل سليمان بقاعين، الأردن، جامعة مؤتة، ٢٠١٣م.
- ٦- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، جزء ٢، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٧م.
- ٧- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، جزء ١، محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب.
- ٨- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- ٩- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، جزء ١، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، جزء ١.
- ١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جزء ١، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٣م.

- ١١- بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، جزء ٢، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ١٢- البعد التداولي للمبني للمجهول في القرآن الكريم، حسين الفتلى، الأردن، مجلة دواة، المجلد الثاني، عدد ٧، ٢٠١٦م.
- ١٣- بلاغة الأشكال الوجدانية، النادرة أنموذجاً، سليمان الطالي، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٥م.
- ١٤- بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، المغرب، الرباط، دار الأمان، ط ١، ٢٠١٣م.
- ١٥- بلاغة الإيجاز، ضمن كتاب في بلاغة الأشكال الوجدانية، محمد مشبال، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠٢٠م.
- ١٦- بؤر الإضمار والاستغراب في شعر أبي الطيب المتبني، محمودي بشير، دراسة في البنية والدلالة، تونس، جامعة ابن خلدون، ٢٠١٤م.
- ١٧- تأثير الاختزال اللوني على الأعمال النحتية المعاصرة، مروة محمد محمد حسن، مجلة الفنون التشكيلية، مجلد ٦، عدد ٢، كلية التربية، جامعة المنيا، ٢٠٢٢م.
- ١٨- التاريخ الجديد (تاريخ المهمشين)، جاك لوغون، وجود كلود شميث، وآخرون، ترجمة: مد الطاهر المنصوري، بيروت، لبنان.
- ١٩- التحرير والتتوير، تحرير العقل السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، جزء ١، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ٢٠- التحرير والتتوير، جزء ١، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٨٤م.
- ٢١- التحليل الحجاجي للخطاب، أحمد قادم، وسعيد العوادي، عمان، الأردن،

- كنوز المعرفة للنشر، ط ١، ٢٠١٦ م.
- ٢٢- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الجزائر، الأمل للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٣.
- ٢٣- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- ٢٤- التداولية والشعر، قراءة في شعر المدح في العصر العباسي، عبد الله بيرم، الأردن، دار مجدلاوي للنشر، ٢٠١٣ م.
- ٢٥- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، جزء ١، عبد القادر عودة، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨ م.
- ٢٦- تفسير الفخر الرازي المشتهر ب: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الفخر الرازي، جزء ٤، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨١ م.
- ٢٧- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، جزء ١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ٢٨- تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، جزء ١، بيروت، دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٢٩- تهذيب الأخلاق، أبو عمرو بحر الجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث والنشر.
- ٣٠- الجامع الصحيح المختصر للبخاري، جزء ٥، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، حديث: ٥٨٨٩.
- ٣١- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، جزء ٧، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- ٣٢- جمهرة توقيعات العرب، محمد محمود الدروبي، صلاح محمد جرار،

- الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، ٢٠٠١م.
- ٣٣- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد محمود شاكر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- ٣٤- دلالات التعبير ودورها في التحليل النفسي لشخصية المنافق، صالح أمل إسماعيل، الأردن، دار النفائس، ط٢، ٢٠١١م.
- ٣٥- السحر والسحرة من منظور القرآن والسنة، إبراهيم كمال أدهم، بيروت، دار الندوة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.
- ٣٦- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، بيروت، دارا الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٣٧- سيكولوجية الدافعية والانفعالات، محمد بن محمود بن يونس، عمان، الأردن، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٣٨- الطراز الجامع لعلوم البلاغة وحقائق الإعجاز، مجلد٣، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة، دار الكتب الخديوية، ومطبعة المقتف بمصر، ١٩١٤م.
- ٣٩- علم اللغة الاجتماعي، هادي نهر، العراق، الجامعة المستنصرية، ط١، ١٩٨٨م.
- ٤٠- الغربيين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، تحقيق: أحمد فريد فريدي، جزء ١، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ٤١- فتح الباري، كتاب اللباس، ابن حجر العسقلاني، القاهرة، المطبعة السلفية، جزء ١٦.
- ٤٢- فعل القول من الذاتية في اللغة، ك - أوريكيوني، ترجمة: محمد نظيف، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م.
- ٤٣- قاموس التداولية، جوليان لونجي، وجورج إيليا سرفاتي، ترجمة: لطفي السيد منصور، العراق، بغداد، الرافدين، ط١، ٢٠٢٠م.
- ٤٤- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، جزء ١، محمد بن علي التهانوي،

- تحقيق: محمد علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط. ١.
- ٤٥- الكشف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، جزء ٢، الزمخشري، تحقيق: عبد الرازق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٦- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٩٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.
- ٤٧- اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بو جادي، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩.
- ٤٨- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الجزائر، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٢م.
- ٤٩- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ط ١٥، ١٩٨١م.
- ٥٠- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، الدرا البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.
- ٥١- المضمرة، كاترين كيريرات - أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٥٢- معجم التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨١م.
- ٥٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.
- ٥٤- معجم مقاليد العلوم مع الحدود والرسم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠٠٤.
- ٥٥- معجم مقاييس اللغة، جزء ٢، أبو الحسن بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

- ٥٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، جزء ٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩ م.
- ٥٧- المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية، جزء ٣، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، الرياض، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ط ١، ٢٠٢٣ م.
- ٥٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- ٥٩- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ج ٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
- ٦٠- المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٤ م.
- ٦١- مفارقة النصوص القصيرة جداً، قراءة في قصائد رعد كريم عزيز، فلاح رحيم، مجلة الأقلام، عدد ٣، أيلول ٢٠١٥ م.
- ٦٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، جزء ١، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ٦٣- النظرية التداولية، أحمد فهمي صالح شاهين، الأردن، عالم الكتب الحديثة، ٢٠٠٧ م.
- ٦٤- نظرية نحو الكلام، رؤية عربية أصيلة، كريم حسين الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤ م.
- ٦٥- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، جزء ٤، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحمدُ لله ربَّ العالمين.